بسم الله الرحمن الرحيم

97- كتاب التوحيد

قولـــه: التوحيد: فسره أهل السُنّة بنفي التشبيه والتعطيل ومن ثم قال الجنيد فيما حكاه القشيري "التوحيد إفراد القديم من المحدث" وقال التميمي التوحيد مصدر وحدّ يوحدّ ومعنى وحدّت الله اعتقدته منفرداً بذاته وصفاته لا نظير لـه ولا شبيهة وفي صفاته لا شبيهة لـه في إلهيته وملكه وتدبره لا شريك لـه ولا رب سواه ولا خالق غيره.

1- باب: ما جاء في دعاء النبي ﷺ أُمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى.

7371- 7372- تقدم في كتاب الزكاة حديث [1395]. 7373- تقدم في حديث [6267].

7374- تقدم في كتاب فضائل القرآن حديث [5013]. 7375- تقدم في كتاب الآذان حديث [774].

قولـــه: ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تعالى: المراد الشهادة بأنه اله واحد.

2- باب: قول الله تبارك وتعالى{قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى}

7376- «عن جرير بن عبد الله قال. قال رسول الله ﷺ (لايرحم الله من لا يـــرحم النـــاس» [أطرافه في: 6013].

7377- تقدم في كتاب الجنائز حديث [1284].

قولـــه: قل أدعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى: قال ابن بطال غرضه إثبات الرحمة وهي من صفات الذات للرحمن والمراد برحمته إرادته نفع من سبق في علمه أنه ينفعه وأسماء كلها ترجع إلى ذات واحده وإن دل كل واحد منها على صفاته يختص الاسم بالدلالة عليها وأما الرحمة التي جعلها في قلوب عباده فهي صفات الفعل وصفها بانه خلقها في قلوب عباده. وقال الخطابي ذهب الجمهور إلى أن الرحمن مأخوذ من الرحمة مبنى على المبالغة ومعناه ذو الرحمة لا نظير لـه فيها ولذلك لا يثني ولا يجمع.

فائدة: الذي يظهر من تصرف البخاري في "كتاب التوحيد" أنه يسوق الأحاديث التي وردت في الصفات المقدسة فيدخل كل حديث منها في باب ويؤيده بآية من القرآن للإشارة إلى خروجها عن أخبار الاحاد على طريق التنزل في ترك الإحتجاج بها في الاعتقاديات وأن من أنكرها خالف الكتاب والسُنة جميعاً.

3- باب: قول الله تعالى{إِنَّ اللّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}

7378- تقدم في كتاب الأدب حديث [6099].

قولـــه: إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين: قال ابن بطال تضمن صفة ذات وصفة فعل فالرزق فعل من أفعاله فهو من صفات فعله لأن رازقاً يقتضي مرزوقاً والله سبحانه كان ولا مرزوق وصفة نفسه بذلك قبل خلق لبخلق بمعنى أنه سيرزق إذا حلف المرزوقين. والقوة وهي من

صفات الذات ولم يزل سبحانه ذا قوة والمتين بمعنى القوي وهو في اللغة الثابت الصحيح وقال البيهقي القوي التام القدره لا ينسب إليه عجز في حاله من الأحوال ويرجع معناه إلى القدرة والقادر هو الذي له القدرة الشاملة والقدرة صفة له قائمة بذاتة. والمقتدر هو التام القدرة الذي لا يمنع عليه شيء.

4- باب: قول الله تعالى{عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا} وقوله{إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} وقوله{وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ} وقوله{إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ}.

7379- تقدم في كتاب الإستسقاء حديث [1039]. 7380- تقدم في كتاب التفسير حديث [4855].

قوله: عالم الغيب فلا يظهر على غيبة أحداً – الآيات: قال ابن بطال في هذه الآيات إثبات علم الله تعالى وهي من صفات ذاته خلافاً لمن قال أنه عالم بلا علم.

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب الاستسقاء حديث [1039] ووجه دخوله.

قوله: "مفاتيح الغيب خمسة لا يعلمها إلا الله – الحديث": قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة استعار للغيب مفاتيح افتداء بما نطق به الكتاب العزيز "وعنده مفاتيح الغيب" وليُقربّ الأمر على السامع لأن أمور الغيب لا يحصيها إلا عالمها وأقرب الأشياء إلى الإطلاع على ما غاب على الأبواب والمفاتيح أيسر الأشياء لفتح الباب فإذا كان أيسر الأشياء لا يُعرف موضعها فما فوقها أحرى أن لا يعرف. والحكمة من جعلها خمساً الإشارة إلى حصر العوالم فيها ففي قوله "وما تغيض الأرحام" إشارة إلى ما يزيد في النفس وينقص وخص الرحم بالذكر لكون الأكثر يعرفونها بالعادة ومع ذلك فنفى أن يعرف أحد حقيقتها فغيرها بطريق الأولى. وفي قوله ولا يعلم متى يأتي المطر إشارة إلى أمور العالم العلوي وخص المطر مع أن له أسباباً قد تدل بجري العادة على وقوعه لكنه من غير تحقيق ومن قوله "ولا تدري نفس بأي أرض تموت" إشارة إلى أمور العالم السفلي مع أن عادة أكثر الناس أن يموت ببلده ولكن ليس لك حقيقة بل لو مات في بلده لا يعلم في أي بقعة يدفن منها ولو كان هناك مقبرة لأسلافة بل قبر أعده هو له. وفي قوله "ولا يعلم ما في غد إلا الله" إشارة إلى أنواع الزمان وما فيها من الحوادث وعبّر بلفظ غد لتكون حقيقته أقرب الأزمنة وإذا كان مع قربه لا يعلم حقيقة ما يقع فيه مع إمكان الإمارة والعلامة فما بُعد عنه أولى. وفي قوله "ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله" إشارة إلى علوم الآخرة فإن يوم القيامة أولها وإذا نفى علم الأقرب انتفى علم ما بعده فجمعت الآية أنواع الغيوب وأزالت جميع الدعاوي الفاسدة وقد بّين بقوله تعالى لا يظهر على غيبة أحداً إلا من إرتضى من رسول " فبيّن أن الإطلاع على شيء من هذه الأمور لا يكون إلا بتوفيق.

5- باب: قول الله تعالى{السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ}

7381- تقدم في كتاب الاستئذان حديث [6232].

قوله: السلام المؤمن: قال أهل العلم معنى السلام في حقه سبحانه وتعالى الذي سلم المؤمنون من عقوبته. وقيل السلام من سلم من كل نقص وبريء من كل آفة وعيب وقيل المُسّلم على عبادة

لقولـه "سلام قولاً من رب رحيم" فهي صفة كلامية وقيل الذي سلم الخلق من ظلمه فهي صفة فعلية. والمؤمن قيل الذي صدق نفسه وصدق أولياءه وقيل خالق الآمن.

6- باب: قول الله تعالى{مَلِكِ النَّاسِ}

7382- تقدم في كتاب الرقاق حديث [6519].

قولـه: ملك الناس: قال البيهقي الملك والمالك هو الخاص الملك ومعناه في حق الله القادر على الإيجاد وهي صفة يستحقها لذاته. وقال الراغب الملك المتصف بالأمر والنهي عن ذلك يختص بالناطقين ولهذا قال "ملك الناس" ولم يقل ملك الأشياء فأشرف الجميع المتكلم وهم الإنس والجن والملائكة وكل من عداهم جائز دخوله تحت قبضته.

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب الرقاق حديث [6519].

7- باب: قول الله تعالى{وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} وقوله{سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ} وقوله{وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ} ومن حلف بعزة الله وصفاته

7383- عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يقول: «أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت والجن والإنس يموتون».

قولـه: وهو العزيز الحكيم – الآيات: المراد بها هنا القهر والغلبة ويحتمل أن يكون الإضافة للاختصاص كأنه قيل ذو العزة وأنها من صفات الذات. ويحتمل أن يكون المراد بالعزة هنا العزة الكائنة بين الخلق وهي مخلوقة فيكون من صفات الفعل فالرب على هذا بمعنى الخالق والتعريف في العزة للجنس فإذا كانت العزة كلها لله فلا يصح أن يكون أحداً معتزاً إلا به ولا عزة لحد إلا هو مالكها. قولـه: ومن حلف بعزة الله وصفاته: تقدم في كتاب الإيمان والنذور باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلامه.

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب الآذان حديث [806] وكتاب الإيمان حديث [22] وكتاب

8- باب: قول الله تعالى{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ}

7385- تقدم في كتاب التهجد حديث [1120].

قولـه: بالحق: أي بكلمة الحق وهو قولـه "كن" وأشار في حديث الباب "قولك الحق" فكأنه أشار إلى المراد بالقول الكلمة وهي كن. وقال ابن بطال المراد بالحق هنا ضد الهزل والمراد بالحق في الأسماء الحسنى الموجود الثابت الذي لا يزول ولا يتغير وقال الراغب يطلق على الاعتقاد في الشيء. وعلى الفعل الواقع ويطلق على الواجب واللازم والثابت والجائز. ونقل البيهقي عن الحليمي قال الحق مالا يسيغ إنكارة ويلزم إثباته والاعتراف به.

9- باب: قولـه تعالى{وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا}

- روى معلقاً ووصلة أحمد والنسائي وابن ماجة: عن عائشة قالت: الحمد لله الذي وسع سمعهُ

الأصوات فأنزل الله تعالى على النبي ﷺ "قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها"

7386- تقدم في كتاب الجهاد والسير حديث [2992].

7387- تقدم في كتاب الآذان حديث [834]. 7389- تقدم في كتاب بدء الخلق حديث [3231].

قولـــه: وكان الله سميعاً بصيراً: قال ابن بطال غرض البخاري في هذا الباب الرد على من قال إن معنى "سميع بصير" عليم قال ويلزم من قال ذلك أن يسويه بالأعمى الذي يعلم أن السماء خضراء ولا يراها والأصم الذي يعلم أن في الناس أصواتاً ولا يسمعها ولا شك أن من سمع وأبصر أدخل في صفة الكمال ممن انفرد بأحدهما دون الآخر فصح أن كونه سميعاً بصيراً يفيد قدراً زائداً على كونه عليماً وكونه سميعاً بصيراً يتضمن أنه يسمع بسمع ويبصر ببصر كما تضمن كونه عليماً أنه يعلم بعلم ولا فرق بين إثبات كونه سميعاً بصيراً وبين كونه ذا سمع وبصر قال وهذا قول أهل السنة قاطبة. وقال البيهقي السميع من لـه سمع يدرك به المسموعات والبصير من لـه بصر يُدرك به المرئيات وكل منهما في حق الباري صفة قائمة بذاتة وقد أفادت الآية وآحاديث الباب الرد على من زعم أنه سميع بصير بمعنى عليم وأخرج أبو داود عن أبي هريرة "رأيتُ رسول الله ﷺ يقرؤها" يعني قوله تعالى{**إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا**} ويضع إصبعية قال أبو يونس وضع أبو هريرة إبهامهُ على أذنه والتي تليها على عينة. قال البيهقي وأراد بهذه الإشارة تحقيق إثبات السمع والبصر لله ببيان محلهما من الإنسان. يريد أن لـه سمعاً وبصراً لا أن المراد بـه العلم. فلو كان كذلك لأشار إلى القلب لأنه محل العلم ولم يُرد بذلك الجارحه فإن الله تعالى مُنزة عن مشابهة المخلوقين. **قولـــه: وسع سمعه الأصوات**: قال ابن بطال معنى قولـه "وسع" أدرك لأن الذي وصف بالإتساع يصح وصفه بالضيق وذلك من صفات الأجسام فيجب صرف قولها عن ظاهرة. والحديث ما يقتضي التصريح بأن لـه سمعاً وكذا جاء ذكر البصر في الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي موسى مرفوعاً "حجابة النور لو كشفة لأحرقت سُبحات وجهة ما أدركه بصرة". **قولـــه: فأنزل تعالى على نبيه قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها**: هكذا أخرجه وتمامه عند أحمد وغيره "لقد جاءت المجادلة إلى رسول الله ﷺ تُكلمهُ إلى جانب البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله الآية ومرادها بهذا النفي مجموع القول لأنه في رواية "إني لا أسمع كلام خَولـه بنت ثعلبة ويخفي عليّ بعضه وهي تشتكي زوجها وهي تقول أكل شبابي ونثرت لـه بطني حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر منيّ " الحديث. فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآيات "قد سمع الله قول الذي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله" هذا أصح ما ورد في قصة المجادلة وتسميتها وقد أخرجه أبو داود.

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب الآذان حديث [834] ووجه دخوله قال ابن بطال أن دعاء أبي بكر لما علمه النبي ﷺ يقتضي أن الله سميع لدعائه ومجازية عليه. وقال ابن المنير فائدة الدعاء إجابة الداعي المطلوبة فلولا أن سمعه سبحانه يتعلق بالسر كما يتعلق بالجهر لما حصلت فائدة الدعاء أو كان يقيده بمن يجهر بدعائه.

10- باب: قول الله تعالى{قُلْ هُوَ الْقَادِرُ}

7390- تقدم في حديث [6382].

قولـــه: القادر: قال ابن بطال القدرة من صفات الذات.

11- باب: مقلب القلوب وقوله تعالى:{وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ}

7391- تقدم في كتاب القدر حديث [6617].

قولـــه: مقلب القلوب – إلخ: قال الراغب تقليب الشيء تغييره من حال إلى حال والتقليب التصرف وتقليب الله القلوب والبصائر صرفها من رأي إلى رأي.

12- باب: إن لله مائة اسم إلا واحده

7392- تقدم في كتاب الدعوات حديث [6410].

قولـــه: إن لله مائة اسم إلا واحده: قال ابن بطال الإحصاء يقع بالقول ويقع بالعمل فالذي بالعمل أن لله أسماء يختص بها كالأحد والمتعال والقدير ونحوها فيجب الإقرار بها والخضوع عندها وله أسماء يستحب الإقتداء بها في معانيها كالرحيم والكريم والعفو ونحوها فيستحب للعبد أن يتحلى بمعانيها ليؤدي حق العمل بها فبهذا يحصل الإحصاء العملي وأما الإحصاء القولي فيحصل بجمعها وحفظها والسؤال بها ولو شارك المؤمن غيره في العد والحفظ فإن المؤمن يمتاز عنه بالإيمان والعمل بها.

13- باب: السؤال بأسماء الله تعالى والإستعاذة بها

7393- تقدم في كتاب الدعوات حديث [6320]. 7394- تقدم في كتاب الدعوات حديث [6312].

7395- تقدم في كتاب الدعوات حديث [6325]. 7396- تقدم في كتاب النكاح حديث [5165].

7397- تقدم في كتاب الذبائح والصيد حديث [5476].

7398- تقدم في كتاب الذبائح والصيد حديث [5507].

7399- تقدم في كتاب الذبائح والصيد حديث [5558].

7400- تقدم في كتاب الذبائح والصيد حديث [5500].

7401- تقدم في حديث [6108].

قولـــه: السؤال بأسماء الله والأستعاذة بها: قال ابن بطال مقصوده بهذه الترجمة تصحيح القول بأن الأسم هو المسمى فلذلك صحت الاستعاذة بالأسم كما تصح بالذات وأما شُبهه القدرية التي أوردها على تعدد الأسماء فالجواب عنها أن الاسم يطلق ويراد به المسمى كما قررناه ويراد به التسمية وهو المراد بحديث أسماء.

14- باب: ما يُذكر في الذات والنّعُوت وأسامي الله ﷻ

7402- عن أبا هريرة قال بعث رسول الله ﷺ عشرة مهم خُبيب الأنصاري فأخبرني عبيد الله

بن عياض أن ابنة الحارث أخبرته أنهم حين اجتمعوا استعار منها موسى يستحد بها فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه قال خبيب الأنصاري:

ولســـــت أبـــالي حـــين أُقتـــل مســـلماً ::: علـــى أي شـــق كـــان لله مصـــرعي
وذلـــك في ذات الإلـــه وإن يشـــأ ::: يبـــارك علـــى أوصـــال شـــلوٍ مُمـــزع

فقتله ابن الحارث فأخبر النبي ﷺ أصحابه خبرهم يوم أصيبوا. [أطرافه في: 3045].

قولـه: **ما يُذكر في الذات والنعوت وأسامي الله ﷻ** : أي ما يذكر في ذات الله ونعوته في تجويز إطلاق ذلك كأسمائه أو منعه لعدم ورود النص به فأما الذات فقال الراغب هي تانيث ذو وهي كلمة يتوصل بها إلى الوصف بأسماء الأجناس والأنواع وتضاف إلى الظاهر دون المضمر وتثنى وتجمع ولا يستعمل شيء منها إلا مضافاً. وقال عياض ذات الشيء نفسه وحقيقته. وأما "النعوت" فإنها جمع نعت وهو الوصف وأما "الأسامي" فهي جمع اسم وتجمع أيضاً على أسماء. قال ابن بطال أسماء الله تعالى على ثلاثة أضرب أحدها يرجع إلى ذاته وهو الله والثاني يرجع إلى صفه قائمة به كالحي والثالث يرجع إلى فعله كالخالق. وطريق إثباتها السمع. والفرق بين صفات الذات وصفات الفعل أن صفات الذات قائمة به وصفات الفعل ثابتة له بالقدرة ووجود المفعول بإرادته جل وعلا. قولـه: **فذكر الذات باسمه تعالى**: أي ذكر الذات متلبساً باسم الله أو ذكر حقيقة الله بلفظ الذات قاله الكرماني. قلت: وظاهر لفظة أن مراده أضاف لفظ الذات إلى اسم الله تعالى وسمعه النبي ﷺ فلم ينكره فكان جائزاً. قال ابن دقيق العيد في العقيدة تقول في الصفات المشكلة أنها حق وصدق على المعنى الذي أراده الله ومن تأولها نظرنا فإن كان تأويله قريباً على مقتضى لسان العرب لم ننكر عليه وإن كان بعيداً توقفنا عنه ورجعنا إلى التصديق مع التنزيه وما كان منها معناه ظاهراً مفهوماً من تخاطب العرب حملناه عليه لقوله "على ما فرطتّ في جنب الله" فإن المراد به في إستعمالهم الشائع حق الله فلا يتوقف في حمله عليه وكذا قوله "إن قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن" فإن المراد به إرادة قلب ابن آدم مُصرّفه بقدرة الله وما يوقعه فيه. وكذا قوله تعالى{فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ} معناه خرّب الله بنيانهم وقوله{إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ} معناه لأجل الله. وقس على ذلك وهو تفصيل بالغ قلّ من تيقظ له

15- **باب: قول الله تعالى{وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ} وقوله{تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ}**

7404- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**لما خلق الله الخلق كتب في كتابه وهو يكتب على نفسه وهو وضع عنده على العرش أن رحمتي تغلبُ غضبي**». [أطرافه في: 7422، 7453، 7553، 7554].

7405- عن أبي هريرة قال. قال النبي ﷺ : «**يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منهم وإن تقرب إليّ شبراً تقربتُ إليه ذراعاً وإن تقرّب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن آتاني يمشي آتيته هرولاً**». [أطرافه في: 7505، 7537].

قولـه: **ويحذركم الله نفسه وقوله تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك**: قال الراغب نفسه ذاته. وقال البيهقي النفس في كلام العرب على أوجه منها الحقيقة كما يقولون في نفسي الأمر. وليس

للأمر نفس منفوسه ومنها الذات وقد قيل في قولـه تعالى{تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ} أن معناه تعلم ما أكِنّهُ وما اسّرهُ ولا اعلم ما تسرهُ عني. قال ابن بطال في هذه الآيات والآحاديث اثبات النفس لله وللنفس معان. والمراد بنفس الله ذاته وليس بأمر مزيد عليه فوجب أن يكون هُو. قولـه: كتب في كتابه وهو يكتب على نفسه: ليس معناه أن ذلك لا زم لأنه لا أمِر لـه ولا ناهي يوجب عليه ما يُلزمه المطالبه به وإنما معناه إنجاز ما وعد به من الثواب وهو لا يخلف الميعاد وأما كتبه فليس للاستعانة لئلا ينساهُ فإنه مُنزه عن ذلك لا يخفي عنه شيء وإنما كتبه من أجل الملائكة الموكلين بالمكلفين. قولـه: عنده: قال ابن بطال عِندَ في اللغة للمكان والله مُنزّه عن الحلول في المواضع لأن الحلول عرض يفنى وهو حادث والحادث لا يليق بالله فعلى هذا قيل معناه أنه سبق علمه بإثابه من يعمل بطاعته وعقوبة من يعمل بمعصيته ويؤيده قولـه في الحديث الذي بعده "أنا عند ظن عبدي بي" ولا مكان هناك قطعاً.

الحديث الثاني: قولـه: أنا عند ظن عبدي بي: أي قادر على أن أعمل به ما ظن أني عامل به وقال الكرماني وفي السياق إشارة إلى ترجيح جانب الرجاء على الخوف وكأنه أخذه من جهة التسوية فإن العاقل إذا سمع ذلك لا يعدل إلى ظن إيقاع الوعيد وهو جانب الخوف لأنه لا يختاره لنفسه بل يعدل إلى ظن وقوع الوعد وهو جانب الرجاء وهو كما قال أهل التحقيق مقيد بالمحتضر ويؤيد ذلك حديث "لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله" وهو عند مسلم من حديث جابر. وقال ابن أبي جمرة المراد بالظن هنا العلم وهو كقولـه "وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه" وقال القرطبي قيل معنى ظن عبدي بي ظن الإجابة عند الدعاء وظن القبول عند التوبة. وظن المغفرة عند الاستغفار وظن المجازاة عند فعل العبادة بشروطها تمسكاً بصادق وعده. ويؤيده قولـه في الحديث الآخر "أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة" ولذلك ينبغي للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه موقناً بأن الله يقبله ويغفر لـه لأنه وعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد فإن اعتقد أو ظن أن الله لا يقبلها وأنها لا تنفعه فهذا هو اليأس من رحمة الله وهو من الكبائر ومن مات على ذلك وُكل إلى ماظن كما في بعض طرق الحديث المذكور. "فليظن بي عبدي ما يشاء". وقال وأما ظن المغفرة مع الإصرار فذلك محض الجهل والغره وهو يُجر إلى مذهب المرجئة. قولـه: وأنا معه إذا ذكرني: أي بعلمي وهو كقولـه "إنني معكما أسمع وأري" والمعّيه المذكورة أخص من المعيّة إلتي في قولـه تعالى{مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا} فقال ابن أبي جمرة معناه فأنا معه حسب ما قصد من ذكره لي. ثم يحتمل أن يكون الذكر باللسان فقط أو بالقلب فقط أو بهما أو بإمتثال الأمر واجتناب النهي. قولـه: فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي: أي إن ذكرني بالتنزيه والتقديس سراً ذكرته بالثواب والرحمة سراً. وقال ابن أبي جمرة يحتمل أن يكون مثل قولـه تعالى{فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} ومعناه أذكروني بالتعظيم أذكركم بالإنعام وقال تعالى "ولذكر الله أكبر" أي أكبر العبادات فمن ذكره وهو خائف آمّنهُ أو مستوحش آنسهُ قال تعالى "ألا بذكر الله تطمئن القلوب". قولـه: وإن ذكرني في ملاء: أي جماعة. قولـه: ذكرته في ملاء خيرٌ منهم: قال بعض أهل العلم يستفاد منه

أن الذكر الخفي أفضل من الذكر الجهري. والتقدير إن ذكرني في نفسه ذكرته بثواب لا أطلع عليه أحد. وإن ذكرني جهراً ذكرته بثواب أطلع عليه الملاء الأعلى. وقال ابن بطال هذا نص في أن الملائكة أفضل من بني آدم وهو مذهب جمهور أهل العلم وعلى ذلك شواهد من القرآن مثل "إلا أن تكون ملكين أو تكون من الخالدين" والخالد أفضل من الفاني فالملائكة أفضل من بني آدم. وتُعقب بأن المعروف عن جمهور أهل السُنّة أن صالحي بني آدم أفضل من سائر الأجناس والذين ذهبوا إلى تفضيل الملائكة الفلاسفة ثم المعتزلة وقليل من أهل السُنّة من أهل التصوف وبعض أهل الظاهر. ومن أدلة تفضيل النبي على الملَكَ أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم على سبيل التكريم له حتى قال إبليس "أرأيتك هذا الذي كرمّت عليّ" ومنها قوله تعالى{لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} لما فيه من الإشارة إلى العناية به ولم يثبت ذلك للملائكة ومنها قوله تعالى{إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} ومنها قوله تعالى{وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ} فدخل في عمومه الملائكة كالمسخر له والمسخر له أفضل من المسُخَر. ولأن طاعة الملائكة وبأصل الخِلقة وطاعة البشر مع المجاهدة للنفس لما طبعت عليه من الشهوة والحرص والهوى والغضب فكانت عبادتهم أشق. وأيضاً فطاعة الملائكة بالأمر الوارد عليهم وطاعة البشر بالنص تارة وبالإجتهاد تارة والإستنباط تارة فكانت أشق ولأن الملائكة سلمِتَ من وسوسة الشياطين وإلقاء الشُبة والاغوله الجائزة على البشر. ولأن الملائكة تشاهد حقائق الملكوت. والبشر لا يعرفون ذلك إلا بالإعلام فلا يَسلم منهم من إدخال الشُبهة من جهة تدبير الكواكب وحركة الأفلاك إلا الثابت على دينة ولا يتم ذلك إلا بمشقة شديدة ومجاهدات كثيرة. وأجاب آخر وهو أقوى. وهو ابن الزملكاني في الجزء الذي جمعه في الرفيق الأعلى فقال إن الله قابل ذكر العبد في نفسة بذكرة له في نفسه وقابل ذكر العبد في الملاء بذكره له في الملاء فإنما صار الذكر في الملاء الثاني خيراً من الذكر في الأول لأن الله هوالذاكر فيهم والملاء الذين يذكرون والله فيهم أفضل من الملاء الذين يذكرون وليس الله فيهم. قوله: وإن تقرب إليّ شبراً: قال ابن بطال وصف سبحانه نفسه بأنه يتقرب إلى عبده ووصف العبد بالتقرب إليه ووصفه بالإتيان والهروله كل ذلك يحتمل الحقيقة والمجاز فحملها على الحقيقة يقتضي قطع المسافات وتداني الأجسام وذلك في حقه تعالى مُحال فلما استحالت الحقيقة تعيّن المجاز لشهرته في كلام العرب فيكون وصف العبد بالتقرب إليه شبراً وذراعاً وإتيانه ومشية معناه التقرب إليه بطاعته وأداء مفترضاته ونوافله ويكون تقربه سبحانه من عبده وإتيانه والمشي عبارة عن إثابتُه على طاعته وتقربه من رحمته ويكون قوله أتيتُه هرولة أي أتاه ثوابي مسُرعاً ونقل عن الطبري أنه إنما مثّل القليل من الطاعة بالشبر منه والضعف من الكرامة والثواب بالذراع فجعل ذلك دليلا على مبلغ كرامته لمن أدمن على طاعته أن ثواب عمله له على عمله الضعيف وأن الكرامة مجاوزة حدّه إلى ما يثُيبهُ الله تعالى وقال ابن التين القرب هنا نظير ما تقدم في قوله تعالى{فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى} فإن المراد به قرب الرُتبة وتوفير الكرامة والهرولة كناية عن سرعة الرحمة إليه ورضا الله عن العبد وتضعيف الأجر والهرولة ضرب من المشي السريع وهي دون العدو. وقال صاحب المشارق المراد بما جاء

في هذا الحديث سرعة قبول توبة الله للعبد أو تيسير طاعته وتقويته عليها وتمام هدايته وتوفيقه والله أعلم بمراده وقال الراغب قرب العبد من الله التخصيص بكثير من الصفات التي يصح أن يوصف الله بها وإن لم تكن على الحد الذي يوصف به الله تعالى نحو الحكمة والعلم والحلم والرحمة وغيرها. وذلك يحصل بإزالة القاذورات المعنوية من الجهل والطيش والغضب وغيرها بقدر طاعة البشر وهو قرب روحاني لا بدني وهو المراد بقوله "إذا تقرب العبد منيّ شبراً تقربت منه ذراعاً".

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب التفسير حديث [4634].

16- **باب: قول الله تعالى{كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ}**

7406- تقدم في كتاب التفسير حديث [4628].

قولـــه: كل شيء هالك إلا وجهه: قال ابن بطال في هذه الآية والحديث دلالة على أن لله وجهاً وهو من صفة ذاته وليس بجارحة. وقال البيهقي تكرر ذكر الوجه في القرآن والسُنة الصحيحة وهو في بعضها صفة ذات كقولـه "إلا رداء الكبرياء على وجهه" وهو في البخاري عن أبي موسى. وفي بعضها بمعنى من أجل كقولـة "إنما نطعمكم لوجه الله" وفي بعضها بمعنى الرضا كقولـه "يريدون وجهه" و"إلا إبتغاء وجه ربه الأعلى" وليس المراد الجارحة جزماً.

17- **باب: قول الله تعالى{وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} وقولـه{تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا}**

7407- تقدم في كتاب الفتن حديث [7127]. 7408- تقدم في كتاب الفتن حديث [7131].

قولـــه: ولتصنع على عيني: أي بحفظي قاله الراغب. **قولـــه: تجري بأعيننا**: أي بعلمنا.

فائدة: قال السهرودي أخبر الله في كتابه وثبت عن رسوله الاستواء والنزول والنفس واليد والعين فلا يتصرف فيها بتشبية ولا تعطيل إذ لولا إخبار الله ورسوله ما تجاسر أن يحوم حول ذلك الحمى. قال الطيبي هذا هو المذهب المعتمد وبه يقول السلف الصالح.

18- **باب: قول الله تعالى{هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ}**

7409- تقدم في كتاب البيوع حديث [2229].

قولـــه: هو الله الخالق البارىء المصور: الخالق من الخلق وأصله التقدير المستقيم ويطلق على الإبداع وهو إيجاد الشيء على غير مثال كقولـه تعالى{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ} وعلى التكوين كقولـه تعالى{خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ}. والبارىء من البرء وأصله خلوص الشيء عن غيره إما على سبيل التقصي وعليه قولهم برأ فلان من مرضه والمديون من دينة ومنه استبرأت الجارية وإما على سبيل الإنشاء ومنه برأ الله النسمة. والمصور مُبدع صور المخترعات ومُرتّبها بحسب مقتضى الحكمة فالله خالق كل شيء بمعنى أنه موجده من أصل ومن غير أصل وبارئه بحسب ما اقتضته الحكمة من غير تفاوت ولا اختلال ومصوره في صورته يترتب عليها خواصه ويتم بها كماله والثلاثة من صفات الفعل إلا إذا أريد بالخالق المقدر فيكون من صفات الذات لأن مرجع التقدير إلى الإرادة وعلى هذا فالتقدير يقع أولاً ثم الإحداث على الوجه المقدر يقع ثانياً ثم

التصوير بالتسوية يقع ثالثاً.

19- باب: قول الله تعالى{لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ}

7414- عن ابن مسعود أن يهودياً جاء إلى النبي ﷺ فقال يا محمد إن الله يمسك السماوات على إصبع والأرضين على أصبع والجبال على إصبع والشجر على إصبع والخلائق على إصبع ثم يقول أنا الملك فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذة ثم قرأ{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}. [أطرافه في: 4811، 7451، 7513] وفي لفظ: «فضحك رسول الله ﷺ تعجباً وتصديقاً له».

قوله: لما خلقت بيدي: قال ابن بطال في هذه الآية إثبات اليدين لله وهما من صفات الذات وليستا بجارحتين خلافاً للمشبهة من المثبته وللجهمية من المُعطلة ويكفي في الرد على من زعم أنهما بمعنى القدرة أنهم أجمعوا على أن له قدرة واحده في المثبته ولا قدره له في قول النفاه لأنهم يقولون إنه قادر لذاته ويدل على أن اليدين ليستا بمعنى القدرة أن في قوله تعالى لإبليس "ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي" إشارة إلى المعنى الذي أوجب السجود فلو كانت اليد بمعنى القدرة لم يكن بين آدم وإبليس فرق لتشاركهما فيما خلق كل منهما به وهي قدرته ولقال إبليس وأي فضيلة له عليّ وأنا خلقتني بقدرتك كما خلقته بقدرتك فلما قال "خلقتني من نار وخلقته من طين" دل على إختصاص آدم بأن الله خلقه بيدية. وقال ابن التين قوله "وبيدي الأخرى الميزان" يدفع تأويل اليد هنا بالقدرة. قوله: على إصبع – إلخ: قال ابن بطال لا يحمل ذكر الإصبع على الجارحة بل يحمل على أنه صفه من صفات الذات لا تكيف ولا تحدد. وحاصل الخبر أنه ذكر المخلوقات وأخبر عن قدرة الله على جميعها فضحك النبي ﷺ تصديقاً له وتعجباً من كونه يستعظم ذلك في قدرة الله تعالى وأن ذلك ليس في جنب ما يقدر عليه بعظيم ولذلك قرأ قوله تعالى{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}. وقال الخطابي ضحكة ﷺ يحتمل الرضا والإنكار. وقال القرطبي هذا كله قول اليهودي وهم يعتقدون التجسيم وأن الله شخص ذو جوارح كما يعتقده غُلاه المشُبهة وضحك النبي ﷺ إنما هو للتعجب من جهل اليهودي ولهذا قرأ - الآية - أي ما عرفوه حق معرفته ولا عظّموه حق تعظيمه ولو سلمنا أن النبي ﷺ صرح بتصديقه لم يكن ذلك تصديقاً له في المعنى بل في اللفظ الذي نقله عن كتابة عن نبية ونقطع بأن ظاهرة غير مراد. أ. هـ. وقد اشتد إنكار ابن خزيمة على من أدّعى أن الضحك المذكور كان على سبيل الإنكار فقال قد أجّل الله تعالى نبيّهُ ﷺ عن أن يوصف ربه بحضرته بما ليس هو من صفاته فيجعل بدل الإنكار والغضب على الواصف ضحكاً.

فائدة: تقدم مزيد بحث في التفسير حديث [4476] وكتاب التفسير حديث [4684] وكتاب الرقاق حديث [6519].

20- باب: قول النبي ﷺ : «لا شخص أغير من الله»

- روى معلقاً ووصله الدارمي: عن عبد الملك - ابن عُمير - لا شخص أغير من الله.

7416- تقدم في كتاب الحدود حديث [6846].

قولـــه: لا شخص أغير من الله: قال الكرماني حكم هذا حكم سائر المتشابهات إما بالتفويض وإما بالتأويل. وقال عياض قد يكون المراد بالشخص المرتفع لأن الشخص هو ما ظهر وشخص وارتفع فيكون المعنى لا مرتفع أرفع من الله كقولـه لا متعالي أعلى من الله ويحتمل أن يكون المعنى لا ينبغي لشخص أن يكون أغير من الله تعالى وهو مع ذلك لم يعجل ولا بادر بعقوبة عبده لإرتكابه. ما نهاه عنه بل حذره وأنذره وأعذره إليه وأمهله فينبغي أن يتأدب بأدبه ويقف عند أمر ونهيه. وقال ابن بطال والتقدير أن الأشخاص الموصوفة بالغيرة لا تبلغ غيرتها وإن تناهت غيره الله تعالى{وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ} وليس الظن من العلم. قلت وهذا هو المعتمد.

21- **باب: قوله تعالى{قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً} فسمي الله تعالى نفسه شيئاً؟ قل الله.**

وسمي النبي ﷺ القرآن شيئاً. وهو صفه من صفات الله وقال{كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ}.

7417- تقدم فى حديث [5030].

قولـــه: قل أي شيء أكبر شهادة – إلخ: قال ابن بطال أن البخاري انتزع هذه الترجمة من كلام عبد العزيز بن يحي المكي فإنه قال سمي الله تعالى نفسه شيئاً إثباتاً لوجوده ونفياً للعدم عنه وكذا أجرى كلامه ما أجراه على نفسه ولم يجعل لفظ شيء من أسمائه وقال "ليس كمثل شيء" فأخرج نفسه وكلامه من الأشياء المخلوقه ثم وصف كلامه بما وصف به نفسه فقال "وما قدروا الله حق قدره إذا قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء" وقال "أو قال أوُحي إلىّ ولم يوح إليه شيء" فدل على كلامه بما دل على نفسه ليعلم أن كلامه صفه من صفات ذاته فكل صفه تسمى شيئاً بمعنى أنها موجودة وحكى ابن بطال أيضاً أن في هذه الآيات والآثار رداً على من زعم أنه لا يجوز أن يطلق على الله شيء. قولـــه: وسمي النبي ﷺ القرآن شيئاً – إلخ: يشير إلى حديث سهل وفيه "أمعك من القرآن شيء" في قصة الواهبة وتقدم في كتاب الوكالة حديث [2310].

22- **باب: قوله تعالى{وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ؟؟؟ وهو رب العرش العظيم}**

قال أبو العالية: استوى إلى السماء: ارتفع.

- روى معلقاً ووصلة الفريابي: قال مجاهد استوى: علا على العرش.

7420- عن أنس قال جاء زيد بن حارثة يشكو فجعل النبي ﷺ يقول 0اتق الله وأمسك عليك زوجك قال أنس لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه قال فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول زوجُكُنّ أهاليكُنّ وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات وعن ثابت{وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ} نزلت في شأن زينب وزيد بن حارثة. [أطرافه في: 4787].

7423- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان

حقاً على الله أن يدخله الجنة هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي وُلد فيها» قالوا يا رسول الله أفلا نُنبيءّ الناس بذلك؟ قال: «إن في الجنة مائة درجة أعّدها الله للمجاهدين في سبيله كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس الأعلى فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقهُ عرش الرحمن ومنه تفجّرُ أنهار الجنة». [أطرافه في: 2790].

قولـه: وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم: أراد البخاري بقوله "رب العرش العظيم" إشارة إلى العرش مربوب وكل مربوب مخلوق وقال البيهقي اتفقت أقاويل أهل التفسير على أن العرش هو السرير وأنه جسم خلقه الله وأمر ملائكته بحمله وتعبدهم بتعظيمة والطواف به كما خلق في الأرض بيتاً وأمر بني آدم بالطواف به واستقباله في الصلاة. وفي الآيات - أي التي ذكرها والاحاديث والآثار دلاله على صحة ما ذهبوا إليه.

فائدة: قال ابن بطال اختلف الناس في الاستواء المذكور هنا فقالت المعتزله معناه الإستيلاء بالقهر والغلبة. وقالت الجسّمية معناه الاستقرار وقال بعض أهل السُنّة معناه أرتفع وبعضهم علا وهو الصحيح وهو المذهب الحق وقول أهل السُنّة لأن الله سبحانه وصف نفسه بالعُلا. وقال سبحانه "سبحانه وتعالى عما يشركون" وهي صفة من صفات الذات. وقال ابن عبدالبر أهل السُنة مجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسُنة ولم يكيّفوا شيئاً منها. وقال إمام الحرمين اختلفت مسالك العلماء في هذه الظواهر فرأى بعضهم تأويلها وألتزم ذلك في آي الكتاب وما يصح من السُنن. وذهب أئمة السلف إلى الإنكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الله تعالى والذي نرتضيه رأياً ونُدين الله به عقيدة إتباع سلف الأمة للدليل القاطع على أن إجماع الأمة حُجة فلو كان تأويل هذه الظواهر حتماً لأوشك أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة وإذا إنصرم عصر الصحابة والتابعين على الإضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع. أ. هـ. وقد تقدم النقل عن أهل العصر الثالث وهم فقهاء الأمصار كالثوري والأوزاعي ومالك والليث ومن عاصرهم وكذا من أخذ عنهم من الأئمة فكيف لا يوثق بما اتفق عليه أهل القرون الثلاثة وهم خير القرون بشهادة صاحب الشريعة ﷺ.

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب بدء الخلق حديث [3191] وكتاب التفسير حديث [4684] وكتاب التوحيد حديث [7404] وكتاب بدء الخلق حديث [3199] وكتاب التفسير حديث [4679] وكتاب الدعوات حديث [6346] وكتاب الخصومات حديث [2412] و[2410].

23- باب: قول الله تعالى{تَعْرُجُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ} وقوله{إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ}

- روى معلقاً ووصله الفريابي: قال مجاهد: العمل الصالح يرفع الكلم الطيب يُقال ذي المعارج: الملائكة تعرج إلى الله.

7429- تقدم في كتاب مواقيت الصلاة حديث [555].

7430- تقدم في كتاب الزكاة حديث [1410]. 7431- تقدم في كتاب الدعوات حديث [6346].

7432- تقدم في كتاب المناقب حديث [3610]. 7433- تقدم في كتاب بدء الخلق حديث [3199].

قولـــه: **تعرج الملائكة والروح إليه**: قال الفراء المعارج من نعت الله تعالى ووصف بذلك نفسه لأن الملائكة تعرج إليه. وحكى غيره "ذي المعارج" أي الفواضل العالية. قولـــه: **إليه يصعد الكلم الطيب**: أشار إلى تفسير مجاهد لها في الأثر. وأخرج البيهقي عن ابن عباس "الكلم الطيب" ذكر الله "والعمل الصالح"أداء فرائض الله فمن ذكر الله ورد فرائضة "كلامه" وقال الفراء معناه أن العمل الصالح يرفع الكلام الطيب أي يتقبل الكلام الطيب إذا كان معه عمل صالح.

24- باب: قول الله تعالى{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}

7444- عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «**جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتـــهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهة في جنت عدن**». [أطرافه في: 4878].

قولـــه: **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**: كأنه يشير إلى ما أخرجه الترمذي والطبري وغيرهم عن ابن عمر عن النبي ﷺ "قال إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكة ألف سنة وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر في وجه ربه ﷻ في كل يوم مرتين" ثم تلا "وجوه يومئذ ناضرة" قال بالبياض والصفاء "إلى ربها ناظرة" قال تنظر كل يوم في وجه الله " وقال ابن بطال ذهب أهل السُنة وجمهور الأمة إلى جواز رؤية الله في الآخرة ومنع الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة وأوّلوا قولـه "ناظرة" بمنتظرة وهو خطأ. قولـــه: **وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجـــه**: قال المازري كان النبي ﷺ يخاطب العرب بما تفهم ويخرج لهم الأشياء المعنوية إلى الحسن ليقرب تناولهم لها فعّبر عن ذوال الموانع ورفعه عن الأبصار بذلك وقال عياض كانت العرب تستعمل الاستعارة كثيراً وهو أرفع أدوات بديع فصاحتها وإيجازها ومنه قولـه تعالى{جَنَاحَ الذُّلِّ} فمخاطبة النبي ﷺ لهم برداء الكبرياء على وجهة ونحو ذلك من هذا المعنى ومن لم يفهم ذلك تاه فمن أجرى الكلام على ظاهرة أفضى به إلى التجسيم ومن لم يتضح له وعلم أن الله منزة عن الذي يقتضية ظاهرها إما أن يُكذّب نقلتها وإما أن يؤولها. أ. هـ. وقال الطيبي رداء الكبرياء مانع من الرؤية فإنه يمُن عليهم رفعه فيحصل لهم الفوز بالنظر إليه. أ. هـ. قلت ثم وجدت ما يدل على أن المراد برداء الكبرياء الحجاب وأنه سبحانه يكشفه لأهل الجنة إكراماً لهم لما عند مسلم والترمذي والنسائي "أن النبي ﷺ قال إذا دخل أهل الجنة. الجنة يقول الله ﷻ تريدون شيئاً أزيدكم فيقولون ألم تُبيض وجوهنا وتدخلنا الجنة؟ قال فيكشف لهم الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم منه " ثم تلا هذه الآية "للذين أحسنوا الحسنى وزيادة" أخرجه مسلم عقب حديث أبي موسى ولعلّه أشار إلى تأويله به ونقل الطبري عن عليّ في قولـه تعالى{وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} قال هو النظر إلى وجه الله. قولـــه: **في جنة عدن**: قال ابن بطال وعياض معناه راجع إلى النظرين أي وهم في جنة عدن لا إلى الله فإنه لا تحويه الأمكنة سُبحانه.

فائدة: جمع الدارقطني طرق الآحاديث الواردة في رؤية الله تعالى في الآخرة فزادت على لعشرين وتتبعها ابن القيم في حادي الأرواح فبلغت الثلاثين وأكثرها جياد وأسند الدارقطني عن يحي بن معين قال عندي سبعة عشر حديثاً في الرؤية صحاح.

فائدة أخرى: تقدم مزيد بحث في كتاب مواقيت الصلاة حديث [554] وكتاب الآذان حديث [6573] وكتاب الإيمان حديث [22] و[44] وكتاب فرض الخمس حديث [3146] وكتاب التهجد حديث [1120] وكتاب الزكاة حديث [6539] وكتاب الحرث والمزارعة حديث [2426] وكتاب المساقاة حديث[2358] وكتاب العلم حديث [1741].

25- باب: ما جاء في قول الله تعالى{إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ}

7450- عن أنس أن النبي ﷺ قال: «ليُصيبن أقواماً سفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة ثم يُدخلُهمُ الله الجنة بفضل رحمته يقال لهم الجُهنميون». [أطرافه في: 6559].

قولــه: إن رحمة الله قريب المحسنين: قال ابن بطال الرحمة تنقسم إلى صفة ذات وإلى صفة فعل وهنا يحتمل أن تكون صفة ذات فيكون معناها إرادة إثابة الطائفين ويحتمل أن تكون صفة فعل فيكون معناها أن فضل الله بسوق السحاب وإنزال المطر قريب من المحسنين - وتقدم مزيد في باب "قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن".

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب الجنائز حديث [1284] وكتاب الصلاة حديث [485] وحديث [4850].

26- باب: قول الله تعالى{إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولاَ}

7451- تقدم في كتاب التوحيد حديث [7414].

قولــه: إن الله يُمسك السموات والأرض أن تزولا: قال المهلب الآية تقتضي أنهما ممسكتان بغير آله والحديث يقتضي أنهما ممسكتان بالإصبع والجواب أن الإمساك بالإصبع محال لأنه يفتقر إلى ممسك وأجاب غيره بأن الإمساك في الآية يتعلق بالدنيا وفي الحديث بيوم القيامة وقد مضى توجيه الإصبع من كلام أهل السُنّة مع شرحه في باب "لما خلقت بيدي" قال الراغب إمساك الشيء المتعلق به وحفظه لقوله تعالى{وَيُمْسِكُ السَّمَاء أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ}.

27- باب: ما جاء في تخليق السموات والأرض وغيرها في الخلائق وهو فعل الرب تبارك وتعالى وأمرهُ فالرب بصفاته وفعله وأمره وهو الخالق المكونُ غير مخلوق وما كان بفعله وأمره وتخليقة وتكوينه فهو مفعول مخلوقٌ مُكوّن.

7452- تقدم في كتاب التفسير حديث [4569].

قولــه: تخليق: هو من خلْق. قولــه: وهو فعل الرب وأمره: المراد بالأمر هنا كُن. قولــه: وهــو الخالق المكّون غير مخلــوق: المكّون لم يرد في الأسماء الحسنى ولكن ورد معناه وهو المصور. قولــه: وما كان بفعله وأمره وتخليقه – إلخ: سياق البخاري يقتضي التفرقة بين الفعل وما ينشأ عن الفعل فالأول من صفة الفاعل والباري غير مخلوق فصفاته غير مخلوقة وأما مفعولة وهو ما ينشأ عن فعله فهو مخلوق ومن ثم عقبهُ بقولــه "وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مفعول مخلوق مكون" والمراد بالأمر هنا المأمور به وهو المراد بقولــه تعالى{وَكَانَ أَمْرُ اللَّــهِ مَفْعُــولاً}

وبقوله{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ} وبقوله{قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي} وبقوله{لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا} وفي الحديث "إن الله يحدث من أمره ما يشاء " وفيه "سبوح قدوس رب الملائكة والروح" وأما التخليق قال السلف التخليق فعل الله وأفاعيلنا مخلوقة ففعل الله صفة والمفعول من سواه من المخلوقات. واختلفوا هل صفة الفعل قديمة أو حادثة فقال جمع من السلف منهم أبو حنيفة هي قديمة وتصرف البخاري يقتضي الموافقة والصائر إليه يسلم من الوقوع في مسئلة حوادث لا أوّل لها.

28- **باب: قوله تعالى**{وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ}

7453- تقدم في كتاب التوحيد حديث [7404]. 7454- تقدم في كتاب بدء الخلق حديث [3208].

7455- تقدم في كتاب التفسير حديث [4731]. 7456- تقدم في كتاب العلم حديث [125].

7457- تقدم في كتاب الإيمان حديث [36]. 7458- تقدم في كتاب العلم حديث [123].

فائدة: وجه دخول حديث [7404] في الترجمة أنه أشار به إلى ترجيح القول بأن الرحمة من صفات الذات لكون الكلمة من صفات الذات فمهما استشكل في إطلاق السبق في صفة الرحمة جاء مثله في صفة الكلمة ومهما أجيب به عن قوله سبقت كلمتنا حصل به الجواب عن قوله سبقت رحمتي.

29- **باب: قول الله تعالى**{إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ}

7459- تقدم في كتاب التوحيد حديث [7311]. 7461- تقدم في كتاب المناقب حديث [3620].

7462- تقدم في كتاب العلم حديث [125].

قوله: إنما أمرنا لشيء إذا أردناه: زاد بعضهم "أن نقول له كن فيكون" قال عياض قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي قال: قال أحمد بن حنبل: دلّ على أن القرآن غير مخلوق حديث عبادة "أوّل ما خلق الله القلم فقال اكتب" الحديث. قال وإنما نطق القلم بكلامه لقوله "إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون" فكلام الله سابق على أول خلقه فهو غير مخلوق وعن الربيع بن سليمان سمعت البويطي يقول خلق الله الخلق كله بقوله "كن" فلو كان كن مخلوقاً لكان قد خلق الخلق بمخلوق وليس كذلك.

30- **باب: قول الله تعالى**{قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا} **وقوله**{وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ} **وقوله**{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}

7463- تقدم في كتاب الإيمان حديث [36].

قوله: لو كان البحر مداداً لكلمات ربي – إلخ: جاء في سبب نزولها ما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قصة سؤال اليهود عن الروح ونزول قوله تعالى{قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن

الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً} قالوا كيف وقد أوتينا التوراة فنزلت{قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي} فأخرج عبد الرازق "لو كان كل شجرة في الأرض أقلاماً والبحر مداداً لنفد الماء وتكسرت الأقلام قبل أن تنفذ كلمات الله وعن معمر عن قتادة أن المشركين قالوا في هذا القرآن يوشك أن ينفذ فنزلت.

فائدة: وجه دخول حديث [7463] في الترجمة ما قاله ابن التين أنه يحتمل أن يكون المراد بكلماته الأوامر الواردة ويحتمل أن يراد بها ألفاظ الشهادتين.

31- باب: في المشيئة والإرادة

وقوله تعالى{وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ} وقوله{تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء} وقوله{وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا} وقوله{إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء}

7471- عن أبي قتادة حين ناموا عن الصلاة قال النبي ﷺ : «**إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردّها حين شاء**» فقضوا حوائجهم وتوضأوا إلى أن طلعت الشمس وابيضت فقام فصلّى. [أطرافه في: 595].

7473- عن أنس قال. قال رسول الله ﷺ : «**المدينة يأتيها الدجال فيجد الملائكة يحرسُونها فلا يقربها الدجال ولا الطاعون إن شاء الله**». [أطرافه في: 1880].

7474- عن أبي هريرة قال. قال رسول الله ﷺ : «**لكل نبي دعوه فأريد إن شاء الله أن أختبيء دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**». [أطرافه في: 6304].

7475- عن أبي هريرة قال. قال رسول الله ﷺ : «**بينا أنا نائم رأيتني علي قليب فنزعت ما شاء الله أن أنزع ثم أخذها ابن أبي قحافة نزع ذنوباً أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم أخذها عمر فاستحالت غُرباً فلم أر عبقرياً من الناس يفري فريّة حتى ضرب الناس حوله بعطن**». [أطرافه في: 3634].

قوله: المشيئة والإرادة: قال الراغب المشيئة عند الأكثر كالإرادة سواء وعند بعضهم أن المشيئة في الأصل إيجاد الشيء وإصابته فمن الله الإيجاد ومن الناس الإصابة وفي العُرف تستعمل موضع الإرادة وقال البيهقي عن الشافعي المشيئة إرادة الله وقد أعلم الله خلقه أن المشيئة له دونهم فقال "وما تشاؤون إلا أن يشاء الله" فليست للخلق مشيئة إلا أن يشاء الله. وقال ابن بطال غرض البخاري إثبات المشيئة والإرادة وهما بمعنى واحد وإرادته صفة من صفات ذاته. وقد اتفق أهل السُنة على أنه لا يقع إلا ما يريده الله تعالى وأنه مريد لجميع الكائنات وإن لم يكن آمراً بها.

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب الدعوات حديث [6338] وكتاب التهجد حديث [1127] وكتاب المرضى حديث [5644] وكتاب مواقيت الصلاة حديث [557] وكتاب الإيمان حديث [18] وكتاب الجهاد والسير حديث [2819] وكتاب المرضى حديث [5662] وكتاب آحاديث الأنبياء حديث [3408] وكتاب الزكاة حديث [1432] وكتاب الطلاق حديث [6339] حديث [3401] وحديث [5656] وكتاب الوضوء حديث [158] وكتاب المغازي حديث [4325].

32- باب: قوله تعالى{وَلاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لـــه حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} ولم يقل ماذا خلق ربكم. وقال{مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ}

- روي معلقاً ووصله البيهقي وأحمد: قال مسروق: عن ابن مسعود إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئاً فإذا فُزّع عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا أنه الحق ونادوا ماذا قال ربكم قالوا الحق.

روي معلقاً ووصله في الأدب المفرد وأحمد: يذكر عن جابر عن عبدالله بن أنيس قال سمعت النبي ﷺ يقول: «يَحشُر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بُعد كما يسمعهُ من قرب أنا الملك أنا الدّيان».

7481- تقدم في كتاب التفسير حديث [4800].

7482- تقدم في كتاب فضائل القرآن حديث [5023].

7483- تقدم في كتاب آحاديث الأنبياء حديث [3348].

7484- تقدم في كتاب مناقب الأنصار حديث [3816].

قولـــه: ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن لـــه – إلخ: قال ابن بطال أستدل البخاري بهذا على قول الله قديم لذاته قائم بصفاته لم يزل موجوداً به ولا يزال كلامه لا يُشبه المخلوقين خلافاً للمعتزلة التي نفت كلام الله وقالوا هو كناية عن الفعل والتكوين وتمسكوا بقول العرب قلت بيدي هذا أي حركتها واحتجوا بأن الكلام لا يعقل إلا بأعضاء ولسان والباري مره عن ذلك فردّ عليهم البخاري بحديث الباب والآية. وفيه أنهم إذا ذهب عنهم الفزع قالوا لمن فوقهم ماذا قال ربكم فدل ذلك على أنهم سمعوا قولاً لم يفهموا معناه من أجل فزعهم فقالوا "ماذا قال" ولم يقولوا ماذا خلق وكذا أجابهم من فوقهم من الملائكة "قالوا الحق" والحق أحد صفتي الذات التي لا يجوز عليها غيره لأنه لا يجوز على كلامه الباطل فلو كان خلقاً أو فعلاً لقالوا خلق خلقاً إنساناً أو غيره فلما وصفوه بما يوصف به الكلام لم يجز أن يكون القول بمعنى التكوين.

فائدة: المحفوظ عن جمهور السلف ترك الخوض في ذلك والتعمق فيه والاقتصار على القول بأن القرآن كلام الله وأنه غير مخلوق ثم السكوت عما وراء ذلك. واستدل البخاري في كتاب خلق أفعال العباد على أن الله يتكلم كيف شاء وأن أصوات العباد مؤلفه حرفاً. حرفاً فيها التطريب والترجيع. وهذا أوّل باب تكلم فيه البخاري على مسئلة الكلام وهي طويلة الذيل قد أكثر أئمة الفرق فيها القول. ومُلخص ذلك قال البيهقي القرآن كلام الله وكلام الله صفه من صفات ذاته وليس شيء من صفات ذاته مخلوقاً ولا محدثاً ولا حادثاً قال تعالى"إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون" فلو كان القرآن مخلوقاً لكان مخلوقاً بكن ويستحيل أن يكون قول الله لشيء بقول لأنه يوجب قولاً ثانياً وثالثاً فيتسلسل وهو فاسد. وقال الله تعالى{**الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُـــرْآنَ * خَلَقَ الإِنسَـــانَ**} فخص القرآن بالتعليم لأنه كلامه وصفته وخص الإنسان بالتخليق لأنه خلقه ومصنوعة ولولا ذلك لقال خلق القرآن والإنسان.

33- باب: كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة

قال معمر: وإنك لتلقي القرآن: أي يُلقى عليك. وتلقاه أنت أي وتأخذه عنهم ومثلُهُ فتلقى آدم من ربه كلمات.

7485- تقدم في كتاب بدء الخلق حديث [3209].

7486- تقدم في كتاب مواقيت الصلاة حديث [555]. 7487- تقدم في كتاب الجنائز حديث [1237].

قولـه: كلام الرب مع جبريل ونداء الملائكة: في الحديث الأول نداء الله جبريل وفي الثاني سؤال الله الملائكة على عكس ما وقع في الترجمة وكأنه أشار إلى ما ورد في بعض طرقة ووقع عند مسلم: «إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال إني أحب فلاناً فأحبّه».

قولـه: إنك لتلقى القرآن: أي تأخذه عنهم ويُلقى عليك. قولـه: فتلقى آدم من ربه كلمـات: أي قبلها وأخذها عنه.

فائدة: وجه دخول حديث [7487] في الباب من جهة أن جبريل إنما يبشر النبي ﷺ بأمر يتلقاه عن ربه ﷻ فكأن الله سبحانه قال لـه بشر محمداً.

34- باب: قول الله تعالى{أنزلـه بِعِلْمِهِ وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ}

- روى معلقاً ووصله الفريابي: قال مجاهد: يتنـزل الأمر بينهن وبين السماء السابعة والأرض السابعة.

7488- تقدم في كتاب الوضوء حديث [247]. 7489- تقدم في كتاب الجهاد والسير حديث [2933].

7490- تقدم في كتاب التفسير حديث [4722].

قولـه: أنزلـه بعلمه والملائكة يشهدون: قال الطبري أنزلـه إليك بعلم منـه أنك خيرتـه من خلقه قال ابن بطال المراد بالإنزال إفهام العباد معاني الفروض التي في القرآن وليس إنزاله لـه كإنزال الأجسام المخلوقة لأن القرآن ليس بجسم ولا مخلوق أهـ. والكلام الثاني متفق عليه بين أهل السُنّة سلفاً وخلفاً وأما الأول فهو على طريقة أهل التأويل والمنقول عن السلف إتفاقهم على أن القرآن كلام الله غير مخلوق تلقاه جبريل عن الله وبلغّه جبريل إلى محمد ﷺ وبلّغه إلى أمُته. قال الراغب الفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إلى إنزاله متفرقاً ومره بعد أخرى والإنزال أعم من ذلك ومنه قولـه "إنا أنزلناه في ليلة القدر" عبّر بالإنزال دون التنزيل لأن القرآن نزل دفعه واحده إلى سماء الدنيا ثم نزل بعد ذلك شيئاً فشيئاً.

35- باب: قول الله تعالى{يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلاَمَ اللَّهِ} إنه لقول فصل حق وما هو بالهزل: باللعب

7504- عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله إذا أحبّ عبدي لقائي أحببت لقاءُه وإذا كره لقائي كرهت لقاءه».

7506- عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «قال رجل لم يعمل خيراً قط إذا مات فحرقوه وآذروا نصفهُ في البر ونصفه في البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليُعذبنّه عذاباً لا يُعذّبه أحداً في العالمين فأمر الله البحر فجمع ما فيه وأمر البر فجمع مافيه ثم قال لم فعلت؟ قال من خشيتك وأنت أعلم فغفر له».

7507- عن أبي هريرة قال سمعت النبي ﷺ قال: «إن عبداً أصاب ذنباً وربما قال أذنب ذنباً فقال رب أذنبت ذنباً وربما قال أصبت فاغفر فقال ربُه أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخُذ به؟ غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً أو أذنب ذنباً فقال رب أذنبت أو أصبت آخر فاغفره فقال أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنباً وربما قال أصاب ذنباً فقال رب أصبت أو أذنبت آخر فاغفره لي فقال أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي ثلاثاً فليعمل ما شاء».

قوله: يريدون أن يبدلوا كلام الله: قال ابن بطال أراد أن كلام الله تعالى صفة قائمة وبه وأنه لم يزل متكلماً ولا يزال. قوله: إنه لقول فصل: الحق وما هو بالهزل باللعب: مأخوذ من كلام أبي عبيدة فإنه قال أي ما هو باللعب والمراد بالحق الشيء الثابت الذي لا يزول وبهذا تظهر مناسبة هذه الآية للآية التي في الترجمة. قوله: إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءهُ: قال العلماء محبة الله لعبده إرادته الخير له وهدايته إليه وإنعامه عليه وكراهته له على الضد من ذلك. قوله: وإذا كره لقائي كرهت لقاءه: قال المازري من قضى الله بموته لا بد أن يموت وإن كان كارهاً للقاء الله.

الحديث الثاني: قوله: فوالله لئن قدر الله عليه: في رواية "لئن قدر الله عليّ" قال الخطابي قد يستشكل هذا فيقال كيف يغفر له وهو منكر للبعث والقدرة على إحياء الموتى والجواب أنه لم ينكر البعث وإنما جهل فظّن أنه إذا فعل به ذلك لا يعاد فلا يعذب وقد ظهر إيمانه بإعترافه بأنه إنما فعل ذلك من خشية الله. قال ابن قتيبة قد يغلط في بعض الصفات قوم من المسلمين فلا يكفرون بذلك ورده ابن الجوزي وقال جحده صفة القدرة كفر إتفاقاً. وإنما قيل معنى قوله "لئن قدر عليّ ربي" أي ضيّق وهي كقوله "ومن قدر عليه رزقه" أي ضيّق ولعلّ هذا الرجل قال ذلك من شدة جزعه وخوفه كما غلط ذلك الآخر فقال أنت عبدي وأنا ربك ويكون قوله "لئن قدر عليّ" أي قدر على أن يعذبني ليُعذبني أو على أن كان مثبتاً للصانع وكان في زمن الفترة فلم تبلغهُ شرائط الإيمان وأظهر الأقوال أنه قال ذلك في حال دهشته وغلبه الخوف عليه حتى ذهب بعقله لما يقول ولم يقلهُ قاصداً لحقيقة معناه بل في حالة كان فيها كالغافل والذاهل والناسي الذي لا يؤاخذ بما يصدر منه.

الحديث الثالث: قوله: ويأخذ به: أي يعاقب فاعله. قوله: ثم مكث ما شاء: أي من الزمان.

فائدة: قال ابن بطال في الحديث أن المُصرّ في مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه وإن شاء غفر له مغلباً الحسنة التي جاء بها وهي اعتقاده أن له رباً خالقاً يُعذّبه ويغفر له واستغفاره إياه على ذلك يدل عليه قوله "من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها" ولا حسنة أعظم من التوحيد فإن قيل إن

استغفاره ربه توبة منه قلنا ليس الاستغفار أكثر من طلب المغفرة وقد يطلبها المُصرّ والتائب ولا دليل في الحديث على أنه تائب مما سأل الغفران عنه لأن حدّ التوبة الرجوع عن الذنب والعزم أن لا يعود إليه والإقلاع عنه والاستغفار بمجرده لا يفهم منه ذلك أهـ. وقال غيره شروط التوبة ثلاثة: الإقلاع والندم والعزم على أن لا يعود والتعبير بالرجوع عن الذنب لا يفيد معنى الندم بل هو إلى معنى الإقلاع أقرب. وقال بعضهم يكفي في التوبة تحقق الندم على وقوعه منه فإنه يستلزم الإقلاع عنه والعزم على عدم العودة فهما ناشئان عن الندم لا أصلان معه ومن ثم جاء الحديث "الندم توبة" أخرجه ابن ماجه وغيره وقال القرطبي هذا الحديث يدل على عظيم فائدة الاستغفار وعلى عظيم فضل الله وسعة رحمته وحلمه وكرمه لكن هذا الاستغفار هو الذي ثبت معناه في القلب مقارناً للسان لينحل به عقد الإصرار ويحصل معه الندم فهو ترجمة للتوبة.

فائدة أخرى: تقدم مزيد بحث في كتاب التفسير حديث [4826] وكتاب الصوم حديث [1894] وكتاب آحاديث الأنبياء حديث [3391] وكتاب التهجد حديث [1145] وكتاب التفسير حديث [4684] وكتاب الصلاة حديث [382] وكتاب بدء الخلق حديث [3244] وكتاب التهجد حديث [1120] وحديث [4750] وكتاب الرقاق حديث [6491]وكتاب التفسير حديث [4830] وكتاب الاستسقاء حديث [1038] وكتاب التوحيد حديث [7405] وحديث [3820].

36- باب: كلام الربّ ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم

7509- 7510- تقدم في التفسير حديث [4476]. 7511- تقدم في كتاب الرقاق حديث [6571].

7512- تقدم في حديث [6539]. 7513- تقدم في كتاب التوحيد حديث [7414].

7514- تقدم في حديث [4685].

فائدة: ليس في آحاديث الباب كلام الرب مع الأنبياء إلا في حديث أنس وسائر آحاديث الباب في كلام الرب مع غير الأنبياء وإذا ثبت كلامه مع غير الأنبياء فوقوعه للأنبياء بطريق الأولى.

37- باب: ما جاء في قوله ﷻ{وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}

7517- عن أنس قال ليلة أسرى برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة: «إنه جاء ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أوّلُهمُ أيّهمُ هو فقال أوسطهم هُو خيرُهَم فقال أحدهُم خُذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يَرهُم حتى أتوهُ ليلة أخرى فيما يرى قلبُه وتنام عيناهُ ولا ينامُ قلبهُ وكذلك الأنبياء تنام أعينُهم ولا تنام قلُوبُهم فلم يكلمُوه حتى احتملوهُ فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نَحره إلى لبّتهِ حتى فرغ من صدرهِ وجَوفهِ فغسلهُ من ماء زمزم بيده حتى أنقى جَوفهُ ثم أُتى بطستٍ من ذهب فيه نور من ذهب محشُوّاً إيماناً وحكمه فحشا به صدره ولغاديده – يعني عروق حلقه – ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا فضرب باباً من أبوابها فناداه أهل السماء من هذا؟ فقال جبريل قالوا ومن معك؟ قال معي محمد قال وقد بُعث قال نعم قالوا مرحباً به وأهلاً فيستبشر به أهل السماء لا يعلم أهل السماء بما يُريد الله به في الأرض حتى يُعلِمهَمُ فوجد في السماء الدنيا آدم فقال له جبريل هذا أبوك

فسلّم عليه ، فسلّم عليه وردّ عليه آدم وقال مرحباً وأهلاً يا بُني نعمَ الإبن أنت فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يَطّردان فقال ما هذان النهران يا جبريل؟ قال هذان النيل والفرات عنُصرهُما ثم مضى به في السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزَبرجَد فضرب يده فإذا هو مِسك أذفر قال ما هذا يا جبريل؟ قال هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك ثم عرج إلى السماء الثانية قالت الملائكة له مثل ما قالت له الأولى من هذا؟ قال جبريل قالوا ومن معك؟ قال محمد ﷺ قالوا وقد بُعث إليه؟ قال. نعم قالوا مرحباً به وأهلاً ثم عُرج به إلى السماء الثالثة وقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانية ثم عَرج به إلى الرابعة فقالوا له مثل ذلك ثم. عَرج به إلى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك. ثم عَرج به إلى السادسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك. كل سماء فيها أنبياء قد سّماهُم فوعيت منهم إدريس في الثانية وهارون في الرابعة وآخر في الخامسة لم احفظ اسمهُ وإبراهيم في السادسة وموسى في السابعة بفضل كلامه لله فقال موسى ربِ لم أظن أن ترفع عليّ أحداً ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار ربّ العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله فما أوحى خمسين صلاة على أُمتك كل يوم وليلة ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسهُ موسى فقال يا محمد ماذا عهد إليك ربك؟ قال عهد إليّ خمسين صلاة كل يوم وليلة قال إن أُمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبي ﷺ إلى جبريل وكأنه يستشيره في ذلك فأشار إليه جبريل أن نعم إن شئت فعلا به إلى الجبار فقال وهو مكانه يا رب خفف عنا فإن أمتي لا تستطيع هذا فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع إلى موسى فاحتبسهُ فلم يزل يُردّدُهُ موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات ثم احتبسهُ موسى عند الخمس فقال يا محمد والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه فأمتك أضعف أجساداً وقلوباً وأبداناً وأبصاراً وأسماعاً فارجع فليخفف عنك ربك كل ذلك يلتفت النبي ﷺ إلى جبريل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة فقال يا رب إن أمتي ضُعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعُهم وأبدانُهم فخفف عنا؟ فقال الجبار يا محمد قال لبيك وسعديك قال إنه لا يُبدّل القول لدي كما فرضت عليك في أم الكتاب قال فكل حسنة بعشر أمثالها فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك فرجع إلى موسى فقال كيف فعلت؟ فقال خفف عنا. أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها قال موسى قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه. إرجع إلى ربك فليخفف عنك أيضاً قال رسول الله ﷺ يا موسى قد والله استحييت من ربي مما اختلفت إليه قال فاهبط باسم الله. قال واستيقظ وهو في مسجد الحرام». [أطرافه في: 4964]

قوله: وكّلم الله موسى تكليماً: قال الأئمة هذه الآية أقوى ما ورد في الرد على المعتزلة. قال النحاس أجمع النحويون على أن العقل إذا آكد بالمصدر لم يكن مجازاً فإذا قال " تكليماً" وجب أن يكون كلاماً على الحقيقة التي تعقل. واجمع السلف والخلف من أهل السُنّة وغيرهم على أن كلم من الكلام. قوله: ليلة أسرى برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة: أنه جاء ثلاثة نفر قبل أن يوحي إليه: وجدت التصريح بتسميتهما في رواية عن أنس عند الطبراني ولفظه "فأتاه جبريل وميكائيل فقال أيهم - وكانت قريش تنام حول الكعبة - فقال أمرنا بسيدهم ثم ذهب ثم جاءا وهم ثلاثة فألقوه فقلبوه لظهره" وقوله "قبل أن يوحى إليه" أنكرها الخطابي وابن حزم وعبدالحق وعياض والنووي وعبارة النووي

وقع في رواية شريك - يعني هذه - أوهام أنكرها العلماء أحدها قوله "قبل أن يوحي إليه" وهو غلط لم يوافق عليه. وأجمع العلماء أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء فكيف يكون قبل الوحي أهـ. **قولـــه: فلم يرهم:** أي بعد ذلك. **قولــه: حتى أتوه ليلة أخرى:** لم يُعين المدة التي بين المجيئين فيحمل على أن المجيء الثاني كان بعد أن أوحي إليه وحينئذ وقع الإسراء والمعراج وإذا كان بين المجيئين مده فلا فرق في ذلك بين أن تكون تلك المده ليلة واحده أو ليالي كثيرة أو عدة سنين وبهذا يرتفع الإشكال عن رواية شريك ويحصل به الوفاق أن الإسراء كان في اليقظة بعد البعثة وقبل الهجرة ويسقط تشنيع الخطابي وابن حزم وغيرهما بأن شريكاً خالف الإجماع في دعواه أن المعراج كان قبل البعثة. **قولــه: ولغاديدهُ:** عروق حلقه. **قولــه: فاستبشر به أهل السماء:** كأنهم كانوا أعْلموا أنه سيُعرج به فكانوا مُترقبين لذلك. **قولــه: فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان:** أي يجريان وظاهر هذا يخالف حديث مالك بن صعصعة فإن فيه بعد ذكر سدرة المنتهى "فإذا في أصلها أربعة أنهار" ويجمع بأن أصل نبعهما من تحت سدرة المنتهى ومقرهما في السماء الدنيا ومنها ينزلان إلى الأرض. **قولــه: فإذا هو:** أي طينة. **قولــه: هذا الكوثر الذي خبأ:** أي أدخر وهذا مما يستشكل من رواية شريك فإن الكوثر في الجنة والجنة في السماء السابعة ويمكن أن يكون في هذا الموضع شيء محذوف تقديره ثم مضى به في السماء الدنيا إلى السابعة فإذا هو بنهر. **قولــه: وموسى في السابعة بفضل كلامــه لله:** المشهور في الروايات أن الذي في السابعة هو إبراهيم وأكد ذلك في حديث مالك بن صعصعه بأنه كان مُسنداً ظهره إلى البيت المعمور فمع التعدد لا إشكال ومع الإتحاد فقد جمع بأن موسى كان في حالة العروج في السادسة وإبراهيم في السابعة على ظاهر حديث مالك بن صعصعة وعند الهبوط كان موسى في السابعة لأنه لم يذكر في القصة أن إبراهيم كلمة في شيء مما يتعلق بما فرض الله على أمته من الصلاة كما كلمه موسى والسماء السابعة هي أول شيء انتهى إليه حاله الهبوط فناسب أن يكون موسى بها لأنه هو الذي خاطبه في ذلك كما ثبت في جميع الروايات ويحتمل أن يكون لقى موسى في السادسة فاصعد معه إلى السابعة تفضيلاً له على غيره من أجل كلام الله تعالى. وظهرت فائدة ذلك في كلامه مع المصطفى فيما يتعلق بأمر أمته في الصلاة وقد أشار النووي إلى شيء من ذلك. **قولــه: فقال موسى رب لم أظن أن ترفع عليّ أحد:** قال ابن بطال فهم موسى من اختصاصه بكلام الله تعالى له في الدنيا دون غيره من البشر لقوله "إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وكلامي" أن المراد بالناس هنا البشر كلهم وأنه استحق بذلك أن لا يرفع أحد عليه فلما فضّل الله محمداً عليه عليهما الصلاة والسلام لما أعطاه من المقام المحمود وغيره ارتفع على موسى وغيره بذلك. **قولــه: ودنا الجبــار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى:** قال الخطابي ليس في هذا الكتاب - يعني صحيح البخاري - حديث أشنع ظاهراً ولا أشنع مذاقاً من هذا الفصل فإنه يقتضي تحديد المسافة بين أحد المذكورين وبين الآخر وتمييز مكان كل واحد منهما هذا إلى ما في التدلي من التشبيه والتمثيل له بالشيء الذي تعلق من فوق إلى أسفل. قال فمن لم يبلغهُ من هذا الحديث إلا هذا القدر مقطوعاً عن غيره ولم يعتبره بأوّل القصة وآخرها اشتبه عليه وجهه ومعناه وكان قصاراه ما ردّ الحديث من أصله. وأما الوقوع في التشبيه وهما خطتان مرغوب عنهما وأما من أعتبر أوّل الحديث بآخرة فإنه يزول عنه الإشكال

فإنه مُصرح فيهما بأنه كان رؤيا لقوله في أوله "وهو نائم" وفي آخره "أستيقظ" وبعض الرؤيا مثل يُضرب ليتأول على الوجه الذي يجب أن يصرف إليه معنى التعبير في مثله وبعض الرؤيا لا يحتاج إلى ذلك بل يأتي كالمشاهدة. قلت وهو كما قال. **قوله: ماذا عهد إليك ربك**: أي أمرك أو وصاك. **قوله: فأمتك أضعف أجساداً**: أي من بني إسرائيل. **قوله: فاهبط باسم الله**: ظاهر السياق أن موسى هو الذي قال له ذلك لأنه ذكره عقب قوله ﷺ قد والله استحييت من ربي مما اختلف إليه قال فاهبط وليس كذلك بل الذي قال له فاهبط باسم الله هو جبريل وبذلك جزم الداودي. **قوله: فاستيقظ وهو في المسجد الحرام**: قال القرطبي يحتمل أن يكون استيقاظاً من نومه نامها بعد الإسراء لأن إسراءه لم طول ليلته وإنما كان في بعضها ويحتمل أن يكون المعنى أفقت مما كنت فيه مما خامر بساطته من مشاهدة الملاء الأعلى لقوله تعالى{لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} فلم يرجع إلى حال بشريته ﷺ إلا وهو بالمسجد الحرام وأما قوله في أوله "بينا أنا نائم" فمراده في أوّل القصة وذلك أنه كان قد ابتدأ نومه فأتاه الملك فأيقظه وفي قوله في الرواية الأخرى "بينا أنا بين النائم واليقظان أتاني الملك" إشارة إلى أنه لم يكن استحكم في نومه أهـ. وهذا كله ينبني على توحد القصة وإلا فمتى حُملت على التعدد بأن كان المعراج مره في المنام وأخرى في اليقظة فلا يحتاج لذلك.

فائدة: قيل اختص موسى عليه السلام بهذا دون غيره ممن لقيه النبي ﷺ ليلة الإسراء من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأن أمته أكثر من أمة غيره ولأن كتابه أكبر الكتب المنزّله قبل القرآن وتشريعاً وأحكاماً أو لأن أمة موسى كانوا كُلفوا من الصلاة ما ثقل عليهم فخاف على أمة محمد ﷺ مثل ذلك وإليه الإشارة بقوله "فإني بلوت بني إسرائيل " قاله القرطبي.

فائدة أخرى: تقدم مزيد بحث في كتاب القدر حديث [6614] وكتاب التفسير حديث [4964].

38- باب: كلام الرب مع أهل الجنة

7519- عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يوماً يُحدّث وعنده رجُل من أهل البادية: «أنّ رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع فقال أو لست فيما شئت؟ قال بلى. ولكني أُحبّ أن أزرع فأسرع وبذر فتبادر الطرف نباته واستواؤه وإستحصاؤه وتكويرهُ أمثال الجبال فيقول الله تعالى دونك يا ابن آدم فإنه لا يُشبعك شيء» فقال الأعرابي يا رسول الله لا تجد هذا إلا قرشياً أو أنصارياً فإنهم أصحاب زرع فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع فضحك رسول الله ﷺ. **قوله: كلام الرب مع أهل الجنة**: أي بعد دخولهم الجنة. **قوله: أستأذن ربه في الزرع**: أي في أن يباشر الزراعة. **قوله: فأسرع وبذر**: أي ألقى البذر فنبت في الحال. **قوله: فتبادر الطرف**: امتداد لحظ الإنسان إلى أقصى ما يراه ويطلق على حركة جفن العين وكأنه المراد هنا. **قوله: إستحصاؤه وتكويره**: أي جمعه والمراد أنه لما بذر لم يكن بين ذلك وبين استواء الزرع والحصد إلا قدر لمح البصر.

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب الرقاق حديث [6549] وحديث [4736].

39- باب: ذكر الله بالأمر وذكر العباد بالدعاء والتضرع والرسالة والبلاغ لقوله تعالى{فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} وقوله{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي

بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ} الآية

- روى معلقاً ووصله الفريابي: قال مجاهد: اقضوا إليّ ما في أنفسكم. افرق: أقض وقال{وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ}إنسان يأتيه فيستمع ما يقول وما أنزل عليه فهو آمن حتى يأتيه فيستمع كلام الله وحتى يبلّغ مأمنهُ حيث جاء. والنبأ العظيم: القرآن صواباً حقاً في الدنيا وعمل به. قولـه: فاذكروني أذكركم: قال البخاري في كتاب خلق أفعال العباد بين هذه الآية أن ذكر العبد غير ذكر الله عبده لأن ذكر العبد الدعاء والتضرع والثناء وذكر الله الإجابة. قال ابن بطال معنى قولـه ذكر الله بالأمر ذكر الله عباده بأن أمرهم بطاعته ويكون من رحمته لهم وإنعامه عليهم إذا أطاعوه أو بعذابه إذا عصوه وذكر العباد لربهم أن يدعوه ويتضرعوا إليه ويبلغوا رسالاته إلى الخلق قال ابن عباس في قوله "أذكروني أذكركم " إذا ذكر العبد ربه وهو على طاعته ذكره برحمته وإذا ذكره وهو على معصيته ذكره بلعنته وقال أذكروني بالطاعة أذكركم بالمعونة. قولـه: واتل عليهم نبأ نوح – إلخ: قال ابن بطال أشار إلى أن الله ذكر نوحاً بما بلغ به من أمره وذكر آيات ربه وكذلك فرض على كل نبي تبليغ كتابة وشريعته وقال الكرماني المقصود من ذكر هذه الآية أن النبي ﷺ مذكور بأنه أمر بالتلاوة على الأمة والتبليغ إليهم أن نوحاً كان يُذكّرهم بأيات الله وأحكامه. قولـه: اقضوا إليّ ما في أنفسكم: حكى ابن التين اقضوا إليّ: افعلوا ما بدا لكم وقال غيره أظهروا الأمر وميّزوه بحيث لا تبقى شبهة ثم اقضوا بما شئتم من قتل أو غيره من غير إمهال. قولـه: أفرُق: اقض: أي أظهر الأمر وافصله بحيث لا تبقى شبهة. قولـه: وإن احد من المشركين استجارك – إلخ: قال مجاهد إنسان يأتيه فيسمع ما يقول وما ينزل عليه فهو آمن يأتيه فيسمع كلام الله وحتى يبلغه مأمنه. قال ابن بطال ذكر هذه الآية من أجل أمر الله تعالى نبيّه بإجاره الذي يسمع الذكر حتى يسمعه فإن أمن فذاك وإلا فيبلغ فأمنه حتى يقضي الله فيه ما شاء. قولـه: والنبأ العظيم القرآن: هو تفسير مجاهد قال ابن بطال سمي نبأ لأنه ينبأ به والمعنى إذا سألوا عن النبأ العظيم فأجبهم وبلّغ القرآن إليهم. قال الراغب النبأ الخبر ذو الفائدة الجليلة يحصل به علم أو ظن غالب وحق الخبر الذي يسمى نبأ أن يتعرّى عن الكذب. قولـه: صوابا حقاً في الدنيا وعمل به: قال ابن بطال يريد قوله تعالى{إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَـهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا} أي حقاً في الدنيا وعمل به فهو الذي يؤذن له في الكلام بين يدي الله بالشفاعة لم أذن له. قلت ومناسبة ذكر قوله "صوابا" بقول الحق والعمل به في الدنيا يشمل ذكر الله باللسان والقلب مجتمعين ومنفردين فناسب قوله ذكر العباد بالدعاء والتضرع.

فائدة: لم يذكر في هذا الباب حديثاً مرفوعاً واللائق به الحديث القدسي "من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي" وتقدم قريباً فإنه يصح في قوله من ذكرني في ملاء - أي من الناس بالدعاء والتضرع - ذكرته في ملاء - أي من الملائكة بالرحمة والمغفرة. ثم وجدته في كتاب خلق أفعال العباد قد أورد حديث أبي هريرة الذي فيه "اقرؤا إن شئتم يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله حمدني عبدي - إلى أن قال - يقول العبد إياك نعبد وإياك نستعين يقول الله هذه الآية بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل " الحديث. قال البخاري فيه بيان أن سؤال العبد غير ما يُعطيه الله وأن قول العبد غير كلام الله. وهذا من العبد الدعاء والتضرع ومن الله الأمر والإجابة أهـ.

وحديث أبي هريرة أخرجه مالك ومسلم وأصحاب السنن وليس على شرط البخاري فاكتفى بالإشارة.

40- باب: قول الله تعالى.

{فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً}. وقوله{وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ} وقوله{وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ}.

- روى معلقاً ووصله الطبري عن عكرمة. وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ولئن سألتهم من خلقهم ومن خلق السموات والأرض ليقولنّ الله فذلك إيمانهم وهم يعبدون غيره وما ذكر في خلق أفعال العباد وأكسابهم لقوله تعالى{وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا}.

- روى معلقاً ووصله الطبري: قال مجاهد: ما تنزّل الملائكة إلا بالحق يعني بالرسالة والعذاب ليسأل الصادقين عن صدقهم المبُلغيّن المؤدين من الرسل وإنالة لحافظون عندنا والذي جاء بالصدق القرآن وصدّق به المؤمن يقول يوم القيامة هذا الذي أعطيتني عملت بما فيه.

7520- تقدم في كتاب التفسير حديث [4477].

قوله: فلا تجعلوا لله أنداداً – إلخ: الند هو نظير الشيء الذي يعارضه في أموره وقيل ند الشيء من يشاركه في جوهره وهو ضرب من المثل لكن المثل يقال في أي مشاركه كانت فكل ندّ مثل من غير عكس. قال ابن بطال غرض البخاري في هذا الباب إثبات نسبة الأفعال كلها لله تعالى سواء كانت من المخلوقين خيراً أو شراً فهي لله تعالى خلق وللعباد كسب ولا ينسب شيء من الخلق لغير الله تعالى فيكون شريكاً ونداً ومساوياً له في نسبة الفعل إليه. وقد نبه الله تعالى عباده على ذلك بالآيات المذكورة وغيرها المصرحة بنفي الأنداد والآلهة المدعوة معه فتضمنت الرد على من يزعم أنه يخلق أفعاله ومنها ما حذر به المؤمنين أو أثنى عليهم ومنها ما وبخ به الكافرين وحديث الباب ظاهر في ذلك وقد أطنب البخاري في كتاب خلق أفعال العباد في تقرير هذه المسألة وغرضه هنا الرد على من لم يفرق بين التلاوة والمتلو ولذلك أتبع هذا الباب بالتراجم المتعلقة بذلك مثل باب "لا تحرك به لسانك" وهذه المسألة هي المشهورة بمسألة اللفظ ويقال لأصحابها اللفظية واشتد إنكار الإمام أحمد ومن تبعه على من قال لفظي بالقرآن مخلوق. والذي يتحصل من كلام المحققين أنهم أرادوا حسم المادة صوناً للقرآن أن يوصف بكونه مخلوقاً وقال البيهقي مذهب السلف والخلف أن القرآن كلام الله وهو صفه من صفات ذاته وصرّح البخاري بأن أصوات العباد مخلوقة وأن أحمد لا يخالف ذلك فقال في كتاب خلق أفعال العباد ما يدّعونه عن أحمد ليس الكثير منه بالبيّن ولكنهم لم يفهموا مراده ومذهبه والمعروف عن أحمد وأهل العلم أن كلام الله تعالى غير مخلوق وما سواه مخلوق لكنهم كرهوا التنقيب عن الأشياء الغامضة وتجنبوا الخوض فيها والتنازع. **قوله: لئن أشركت ليحبطن عملك – إلخ:** قال الطبري ليبطلن ثواب عملك أهـ. والغرض هنا تشديد الوعيد على من أشرك بالله. **قوله: وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون:** قال يسألهم من خلقهم ومن خلق السموات والأرض فيقولون الله فذلك إيمانهم وهم يعبدون غيره ". **قوله: فذلك إيمانهم وهم يعبدون**

غيره: أي إذا سئلوا عن الله وعن صفته وصفوه بغير صفته وجعلوا له ولداً وأشركوا به. قوله: وما ذكر في خلق أفعال العباد وأكسابهم: الخلق غير الكسب فالكسب هو الذي يكون مسنداً إلى العبد حيث أثبت له فيه صنعاً ويسند إلى الله من حيث أن وجوده إنما هو بتأثير قدرته فهو مسند إلى الله حقيقة وإلى العبد عادة وهي صفه يترتب عليها الأمر والنهي فكل ما أسند من أفعال العباد إلى الله فهو بالنظر إلى تأثير القدرة ويقال له الخلق وما أسُند إلى العبد إنما يحصل بتقدير الله ويقال له الكسب. قوله: وخلق كل شيء: وجه الدلاله عموم قوله كل شيء والكسب شيء فيكون مخلوقاً لله. قوله: والذي جاء بالصدق القرآن: قال الطبري الأولى أن المراد بالذي جاء بالصدق كل من دعا إلى توحيد الله والإيمان برسوله وما جاء به والمصدّق به المؤمنون ويؤيده أن ذلك ورد عقب قوله "فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه".

41- باب: قول الله تعالى{وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ}

7521- عن ابن مسعود قال اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشي - أو قرشيان وثقفي - كثيرة شحم بُطونهم قليلة فقه قلوبهم فقال أحدهم أترونَ أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا وقال الآخر إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا فأنزل الله تعالى{وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ} الآية. [أطرافه في: 4816].

فائدة: قال ابن بطال غرض البخاري إثبات السمع لله وأطال في تقرير ذلك وتقدم في أوائل التوحيد في باب "وكان الله سميعاً بصيراً ". قلت وغرضه إثبات ما ذهب إليه أن الله يتكلم متى شاء وهذا الحديث من أمثلة إنزال الآية بعد الآية على السبب الذي في الأرض وهذا ينفصل عنه من ذهب إلى أن الكلام صفه قائمة بذاتة أن الإنزال بحسب الوقائع من اللوح المحفوظ أو من السماء الدنيا كما ورد في حديث ابن عباس رفعه "نزل القرآن دفعه واحده إلى السماء الدنيا فوضع في بيت العزة ثم أنزل إلى الأرض نجوماً" رواه أحمد.

42- باب: قول الله تعالى{مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ} وقوله تعالى{لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا} وأن حدثه لا يشبه حدث المخلوقين لقوله تعالى{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}

- روي معلقاً ووصله أحمد وأبو داود والنسائي: قال ابن مسعود عن النبي ﷺ إن الله ﷻ يُحدث من أمره ما يشاء وإنّ مما أحَدثَ أن لا تكلموا في الصلاة.

7523- عن ابن عباس قال يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شئ وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم ﷺ أحدث الأخبار بالله محضاً لم يُشب؟ وقد حدّثكم الله أن أهل الكتاب قد بدّلوا من كُتب الله وغيّروا فكتبوا بأيديهم قالوا هو من عند الله ليشتروا بذلك ثمناً قليلاً أو لا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم فلا والله ما رأينا رجُلاً منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم. [أطرافه في: 2685].

قوله: وما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث – إلخ: الذكر الموصوف في الآية بالإحداث ليس هو نفس كلامه تعالى لقيام الدليل على أن محدثاً ومنشأ ومخلوقاً ألفاظ مترادفة على معنى واحد فإذا لم يجز

وصف كلامه القائم بذاته تعالى بأنه مخلوق لم يجز وصفه بأنه محدث وإذا كان كذلك فالذكر الموصوف في الآية - بأنه محدث هو الرسول لأن الله تعالى قد سماه في قوله تعالى{قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَّسُولاً} فيكون المعنى ما يأتيهم من رسول محدث ويحتمل أن يكون المراد بالذكر هنا وعظ الرسول إياهم وتحذيره من المعاصي فسماه ذكراً وأضافه إليه إن هو فاعله ومقدر رسوله على اكتسابه وقال بعضهم في هذه الآية أن مرجع الأحداث إلى الإثبات لا إلى الذكر القديم لأن نزول القرآن على رسول الله ﷺ كان شيئاً بعد شئ فكان نزوله يحدث حيناً بعد حين كما أن العالم يعلم مالا يعلمه الجاهل فإذا علمه الجاهل حدث عنده العلم ولم يكن إحداثه عند التعليم إحداث عين المعلم. قلت وهو أقرب إلى مراد البخاري لما قدمت قبل أن مبنى هذه التراجم عنده على إثبات أن أفعال العباد مخلوقه ومراده هنا الحدث بالنسبة لإنزال وبذلك جزم ابن المنير وقال ابن راهوية قوله تعالى{مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ} قال قديم من رب العزة محدث إلى الأرض فهذا هو سلف البخاري في ذلك. قلت: وقد قال البخاري القرآن كلام الله غير مخلوق وإن أفعال العباد مخلوقة حركاتهم وأصواتهم وأكسابهم وكتابتهم. قوله: أقرب الكتب عهداً بالله: في رواية "أحدث الأخبار بالله" أي أقربها نزولاً إليكم وأخباراً من الله سبحانه وتعالى وقد جرى البخاري على عادته في الإشاره إلى اللفظ الذي يريده فأخرج ابن أبي حاتم "قال كعب عليكم بالقرآن فإنه أحدث الكتب عهداً بالرحمن" زاد في رواية "وإن الله تعالى قال في التوراة يا موسى إني منزل عليك توراة حديثه أفتح بها أعينا عُمياً وآذاناً صُماً وقلوباً غلفاً ". قوله: تقرءونه محضاً لم يشب: أي لم يخالطه غيره. قوله: فلا والله ما رأينا رجلاً منهم يسألكم: فيه تأكيد الخبر بالقسم وكأنه يقول لايسألونكم عن شيء مع علمهم بأن كتابكم لا تحريف فيه فكيف تسألونهم وقد علمتم أن كتابهم مُحَرف.

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب الشهادات حديث [2685].

43- باب: قول الله تعالى{لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ} وفعل النبي ﷺ حين يُنزَلُ عليه الوحي

- روى معلقاً ووصله أحمد والبخاري في خلق أفعال العباد والطبراني: قال أبو هريرة عن النبي ﷺ قال الله تعالى: «أنا مع عبدي إذا ما ذكرني وتحرّكت بي شفتاه».

7524- تقدم في كتاب بدء الوحي حديث [5].

قوله: أنا مع عبدي إذا ذكرني: قال ابن بطال معنى الحديث أنا مع عبدي زمان ذكره لي. أي أنا معه بالحفظ والكلاءة لا أنه معه بذاته حيث حل العبد. قوله: وتحركت بي شفتاه: أي تحركت باسمي لا أن شفتيه ولسانه تتحرك بذاته تعالى لإستحالة ذلك.

فائدة: الذي يظهر أن مراد البخاري الرد على من زعم أن قراءة القارئ قديمة فأبان أن حركة لسان القارئ بالقرآن من فعل القارئ بخلاف المقروء فإنه كلام الله القديم كما أن حركة لسان ذاكر الله حادثة من فعله.

44- **باب: قول الله تعالى{وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} يتخافتون: يتسارّون**

7525- تقدم في كتاب التفسير حديث [4722]. 7526- تقدم في كتاب التفسير حديث [4723].

7527- عن أبي هريرة قال. قال رسول الله ﷺ «**ليس منا من لم يتغن بالقرآن – وزاد غيره – يجهر به**» [أطرافه في: 5023].

قوله: وأسّروا قولكم أو اجهروا به – إلخ: أشار بهذه الآية إلى أن القول أعم من أن يكون بالقرآن أو بغيره فإن كان بالقرآن فالقرآن كلام الله وهو من صفات ذاته فليس بمخلوق لقيام الدليل القاطع بذلك. وإن كان بغيره فهو مخلوق بدليل قوله "ألا يعلم من خلق " بعد قوله: إنه عليم بذات الصدور" قال ابن بطال مراده بهذا الباب إثبات العلم لله صفه ذاتيه لاستواء علمه بالجهر مع القول والسر وقد بيّنه بقوله "سواء منكم من أسر القول ومن جهر به" وأن أكتساب العبد من القول والفعل لله تعالى لقوله{إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} ثم قال عقب ذلك{أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ} فدل على أنه عالم بما أسروه وما جهروا به وأنه خالق لذلك فيهم. وقال ابن المنير قصد البخاري الإشارة إلى النكتة التي كانت سبب محنته بمسئلة اللفظ فأشار بالترجمة إلى أن تلاوة الخلق تتصف بالسر والجهر ويستلزم أن تكون مخلوقة.

45- **باب: قول النبي ﷺ: «رجل أتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل يقول لو أوتيت مثل ما أوتي هذا» فعلت كما يفعل فبيّن الله أن قيامه بالكتاب هو فعله. وقال تعالى{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ}. وقال جل ذكره{وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تفْلِحُونَ}**

7528- تقدم في كتاب فضائل القرآن حديث [5026].

7529- تقدم في كتاب فضائل القرآن حديث [5025].

قوله: واختلاف ألسنتكم: المراد منها أنها تشمل الكلام كله فتدخله القراءة. قوله: وافعلوا الخير: عموم فعل الخير يتناول قراءة القرآن والذكر والدعاء وغير ذلك فدل على أن القراءة فعل القارئ.

46- **باب: قول الله تعالى{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ}**

- روى معلقاً ووصله الحميدي: قال الزهري: من الله ﷻ الرسالة وعلى رسول الله ﷺ البلاغ وعلينا التسليم - وقال الله{لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاَتِ رَبِّهِمْ} وقال{أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي}.

- روى معلقاً ووصله في التفسير قال كعب بن مالك حين تخلف عن النبي ﷺ{وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ} - وروى معلقاً ووصله في خلق أفعال العباد: قالت عائشة إذا أعجبك حُسن عمل آمريءٍ فقل{اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} ولا يستخفنك أحد - وقال معمر - ابن المثنى -{ذَلِكَ الْكِتَابُ} هذا القرآن{هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} بيان ودلاله كقوله{ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ} هذا حكم

الله لا ريب فيه ولا شك. تلك آيات الله يعني هذه أعلام القرآن ومثله{حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم} يعني بكم.

- روى معلقاً ووصله في الجهاد: قال أنس بعث النبي ﷺ خاله حراماً إلى قوم وقال أتؤمنُوني أبلّغ رسالة رسول الله ﷺ فجعل يُحدّثُهم.

7530- عن المغيرة قال. «أخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا أنه من قُتل منا صار إلى الجنة» [أطرافه في: 3159].

7531- تقدم في كتاب التفسير حديث [4612]. 7532- تقدم في كتاب التفسير حديث[4761].

قوله: بلغ ما أنزل إليك من ربك: قيل المراد بلغ كما أنزل وهو على ما فهمت عائشة وغيرها والأمر للوجوب فيجب عليه تبليغ كل ما أنزل إليه. وقد احتج أحمد بن حنبل بهذه الآية على أن القرآن غير مخلوق لأنه لم يرد في شيء من القرآن ولا من الآحاديث أنه مخلوق ولا ما يدل على أنه مخلوق. قوله: ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم: قال البخاري في خلق أفعال العباد فسمي تبليغه الرسالة وتركه فعلاً ولا يمكن أحداً أن يقول إن الرسول لم يفعل ما أمر به من تبليغ الرسالة يعني فإذا بلّغ فقد فعل ما أمر به وتلاوته ما أنزل إليه وهو التبليغ وهو فعله وذكر عن مالك الجشمي عن أبيه قال "أتيت النبي ﷺ - وفيه - قال أتتني رسالة من ربي فضقت بها ذرعاً ورأيت أن الناس سيُكذبونني فقيل لي لتفعلن أو ليفعلن الله بك "وأصله في السُنن: وحديث سمره بن جندب في قصة الكسوف وفيه "فقال النبي ﷺ في خطبته إنما أنا بشر رسول فأذكركم بالله إن كنتم تعلمون أني قصّرت عن تبليغ شيء من رسالات ربي" يعني فقولوا. فقالوا نشهد أنك بلغت رسالات ربك وقضيت الذي عليك" وأصله في السنن وابن خزيمة. قوله: وقال كعب حين تخلف – إلخ: مراد البخاري تسمية ذلك عملاً. قوله: وقالت عائشة إذا أعجبك حُسن عمل – إلخ: المراد بالعمل ما أشارت إليه من القراءه والصلاة وغيرها فسمت كل ذلك عملاً. قوله: وقال معمر – هُدى للمتقين – إلخ: مناسبة الآية لما تقدم من جهة أن الهداية نوع من التبليغ.

فائدة: مناسبة دخول حديث [7532] للترجمة أن التبليغ على نوعين أحدهما وهو الأصل أن يُبلغه بعينه وهو خاص بما يتعبد بتلاوته وهو القرآن وثانيهما أن يبلغ ما يستنبط من أصول ما تقدم إنزاله فينزل عليه موافقته فيما استنبطه إما بنصهِ وإما بما يدل على موافقته بطريق الأولى كهذه الآية - التي في الحديث - فإنها اشتملت على الوعيد الشديد.

47- باب: قول الله تعالى{قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا}

- روى معلقاً ووصله سفيان الثوري: قال أبو رزين:{يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ} يعملون به حق عمله.

- روى معلقاً عن أبي عبيد: يُقال يُتلى يقرأ حسنَ التلاوة حسن القراء للقرآن.

- لا يمّسهُ. لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن بالقرآن ولا يحمله بحقه إلا الموقن لقوله تعالى{مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ

كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}.

وسمي النبي ﷺ الإسلام والإيمان والصلاة عملاً.

- روى معلقاً ووصله في التهجد: قال أبو هريرة قال النبي ﷺ لبلال: «أخبرني بأرجى عمل عملتهُ في الإسلام» قال ما عملت عملاً أرجى عندي أني لم أتطهر إلا صليت - وروى معلقاً ووصله في الإيمان: سُئل أي العمل أفضل؟ قال إيمان بالله ورسوله ثم الجهاد ثم حج مبرور.

7533- تقدم في حديث [2268].

قوله: قل فأتوا بالتوراة فاتلوها: مراده بهذه الترجمة أن يبين أن المراد بالتلاوة القراءة وقد فسرت بالعمل والعمل من فعل العامل وقال في كتاب خلق أفعال العباد ذكر ﷺ أن بعضهم يزيد على بعض في القراءة وبعضهم ينقص فهم يتفاضلون في التلاوة وأما المتلو وهو القرآن فإنه ليس فيه زيادة ولا نُقصان ويُقال فلان حسن القراءة ورديء القراءة ولا يُقال حسن القرآن ولا رديء القرآن وإنما يُسند إلى العباد القراءة لا القرآن لأنه كلام الرب. قوله: حسن التلاوة حسن القراءة للقرآن: قال الراغب التلاوة الاتباع وهي تقع بالجسم تاره وتاره بالاقتداء في الحكم وتارة بالقراءة وتدبر المعنى. قوله: ولا يحمُله بحقه إلا الموقن: أي أيقن بأنه من عند الله فهو المطهر من الكفر ومن الجهل والشك لا الغافل عنه الذي لا يعمل فيكون كالحمار الذي يحمل مالا يدريه. قوله: وسمي النبي ﷺ الإسلام والإيمان والصلاة عملاً: استنبطه البخاري من حديث جبريل عن الإيمان والإسلام فقال "تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ثم قال ما الإسلام قال تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله - وفي لفظ "أن تُسلم وجهك لله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت" وهو عند مسلم.

قوله: قال النبي ﷺ لبلال – إلخ: دخوله ظاهر من حيث أن الصلاة لا بد فيها من القراءة.

48- باب: وسمي النبي ﷺ الصلاة عملاً

7534- تقدم في كتاب مواقيت الصلاة حديث [527].

فائدة: تقدم مزيد بحث في كتاب الآذان حديث [756].

49- باب: قول الله تعالى{إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا} الآية

7535- تقدم في حديث [3145].

قوله: هلوعاً: قال أبو عبيدة ضجوراً والهّلاع مصدر وهو أشد الجزع. قال ابن بطال مراده في الباب إثبات خلق الله تعالى للإنسان بأخلاقه من الهلع والصبر والمنع والإعطاء.

50- باب: ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه.

7539- عن ابن عباس عن النبي ﷺ فيما يروية عن ربه قال: «لا ينبغي لعبد أن يقول إنه خير من يونس بن متّى» ونسبهُ على أبيه. [أطرافه في: 3416].

قولـــه: ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه: ترجم هذا في كتاب خلق أفعال العباد بلفظ "ما كان النبي ﷺ يذكر ويروي عن ربه" وهو أوضح. قال ابن بطال أن النبي ﷺ روى عن ربه السُنة كما روى عنه القرآن أهـ. والذي يظهر أن مراده كلام الله سبحانه وتعالى.

فائدة: وجه دخول حديث [7540] قال ابن بطال أنه ﷺ كان يروي القرآن أيضاً عن ربه.

فائدة أخرى: تقدم مزيد بحث في كتاب التوحيد حديث [7405] وكتاب الصوم حديث [1894] وكتاب المغازي حديث [4281].

51- باب: ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها لقوله تعالى{قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}

7541- تقدم في الجهاد والسير حديث [2941]. 7542- تقدم في كتاب التفسير حديث [4485].

7543- تقدم في كتاب التفسير حديث [4556].

قولـــه: فأتوا بالتوراة فاتلوهـــا: وجه الدلالة أن التوراة بالعبرانية وقد أمر الله أن تتلى على العرب وهم لا يعرفون العبرانية فقضية ذلك الإذن في التعبير عنها بالعربية.

فائدة: وجه دخول حديث [7541] أن النبي ﷺ كتب إلى هرقل باللسان العربي ولسان هرقل رومي ففيه إشعار بأنه أعتمد في إبلاغه ما في الكتاب على من يترجم عنه بلسان المبعوث إليه ليفهمه.

52- باب: قول النبي ﷺ: «الماهر بالقرآن مع الكرام البررة. وزينوا القرآن بأصواتكم»

7544- عن أبي هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقول «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حســـن الصـــوت بالقرآن يجهر به» [أطرافه في: 5023].

7545- عن عائشة حين قال لها أهل الإفك ما قالوا - قلت - ما كنت أظن أن الله يُنزل في شأني وحياً يُتلى ولشأني في نفس كان أحقر من أن يتكلم الله فِيّ بأمرٍ يُتلى [أطرافه في: 2637].

7546- تقدم في كتاب الآذان حديث [769]. 7547- تقدم في كتاب التفسير حديث [4722].

7548- تقدم في كتاب الآذان حديث [609]. 7549- تقدم في كتاب الحيض حديث [297].

قولـــه: الماهر بالقرآن: أي الحاذق والمراد به هنا جودة التلاوة مع حُسن الحفظ. قولـــــه: مـــع الكرام البررة: في لفظ "مع سفره الكرام البررة والمراد بالسفرة الكتبة وهم هنا الذين ينقلون من اللوح المحفوظ فوصفوا بالكرام أي المكرمين عند الله تعالى والبررة أي المطيعين المطهرين من الذنوب وتقدم الحديث في كتاب التفسير وأخرجه مسلم بلفظ "الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة" قال القرطبي الماهر الحاذق وقال الهروي والمراد بالمهارة بالقرآن جودة الحفظ وجودة التلاوة من غير تردد فيه لكونه يسّرهُ الله تعالى عليه كما يسره على الملائكة فكان مثلها في الحفظ والدرجة. قولـــه: وزينوا أصواتكم بالقرآن: أخرجه في خلق أفعال العباد وأحمد وأبو داود والنسائي. والذي قصده البخاري إثبات كون التلاوة فعل العبد فإنها يدخلها التزيين والتحسين

والتطريب وقد أشار إليه ابن المنير.

53- باب: قول الله تعالى{فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ}

7550- تقدم في كتاب التفسير حديث [4992].

قولـــه: فاقرؤا ما تيسر منه: المراد بالمتيسر منه في الحديث غير المراد في الآية. لأن المراد بالمتيسر في الآية بالنسبة للقلة والكثرة والمراد به في الحديث بالنسبة إلى ما يستحضره القارئ من القرآن فالأول من الكمية والثاني من الكيفية ومناسبة هذه الترجمة للتي قبلها من جهة التفاوت في الكيفية ومن جهة جواز نسبة القراءة للقارئ.

54- باب: قول الله تعالى{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ} وقال النبي ﷺ: «كُل مُيسر لما خلق لـه» يُقال مُيسر. مُهيّأ

- روى معلقاً ووصله الفريابي: قال مجاهد: يسرنا القرآن بلسانك هوّنا قراءته عليك وقال مطر الوراق "ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مُدّكر" قال هل من طالب علم فيُعان عليه.

7551- تقدم في كتاب القدر حديث [6596]. 7552- تقدم في كتاب الجنائز حديث [1362].

قولـــه: ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مُدّكر: المراد بالذكر الأذكار والأتعاظ وقيل الحفظ وهو مقتضي قول مجاهد: قولـــه: كل ميسر لما خلق لـــه: قال الكرماني حاصل الكلام أنهم قالوا: إذا كان الأمر مقدراً فلنترك المشقة في العلم الذي من أجلها سمي بالتكليف وحاصل الجواب أن كل من خلق لشيء يُسر لعمله فلا مشقة مع التيسير وقال الخطابي أرادوا أن يتخذوا ما سبق حجة في ترك العمل فأخبرهم أن هنا أمرين لا يبطل أحدهما الآخر باطن وهو ما اقتضاه حكم الربوبيه وظاهر وهو السّمة اللازمة بحق العبودية وهو أمارة للعاقبة فبين لهم أن العمل في العاجل يظهر أثره في الآجل وأن الظاهر لا يترك للباطن. قلت وكأن مناسبة هذا الباب لما قبله من جهة الإشتراك في لفظ التيسير.

55- باب: قول الله تعالى{بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ} وقال{وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ}

- روى معلقاً ووصله في خلق أفعال العباد: قال قتاده: مكتوب. يسطرون: يخطون في أم الكتاب جملة الكتاب وأصله "ما يلفظ من قول " ما يتكلم من شيء إلا كتب عليه

- روى معلقاً ووصله ابن أبي حاتم والطبري: قال ابن عباس: يُكتب الخير والشر. يُحرّفون: يُزيلون. قال البخاري: وليس أحد يزيل لفظ كتاب من كتب الله ﷻ. ولكنهم يُحرفونه يتأوّلونه على غير تأويله. - وروى معلقاً ووصله ابن أبي حاتم عن ابن عباس: دراستهم تلاوتهم واعيه حافظه. وتعيها تحفظها. وأوحى إليّ هذا القرآن لأنذركم به: يعني أهل مكه ومن بلغ هذا القرآن فهو لـه نذير.

7553- 7554- تقدم في كتاب التوحيد حديث [7404].

قولـه: بل هو قرآن مجيد في لوح محفـوظ: قال البخاري في خلق أفعال العباد قد ذكر الله أن القرآن يحفظ ويُسّطر والقرآن الموعي في القلوب المسطور في المصاحف المتلو بالألسنة كلام الله ليس بمخلوق وأما المداد والورق والجلد فإنه مخلوق.

56- **باب: قول الله تعالى{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} وقوله{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}**

ويقال للمصورين: أحيوا ما خلقتم{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَه الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}.

- روى معلقاً ووصله ابن أبي حاتم قال ابن عيينه: بيّن الله الخلق من الأمر بقوله "ألا له الخلق والأمر". وسمي النبي ﷺ الإيمان عملاً.

7555- تقدم في حديث [4415]. 7556- تقدم في كتاب الإيمان حديث [53].

7557- تقدم في كتاب البيوع حديث [2105]. 7558- تقدم في كتاب اللباس حديث [5951].

7559- تقدم في كتاب اللباس حديث [5953].

قولـه: والله خلقكم وما تعملون: ذكر ابن بطال عن المهلب أن غرض البخاري إثبات أن أفعال العباد وأقوالهم مخلوقه لله وقرق بين الأمر بقوله "كن" وبين الخلق بقوله "والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره" فجعل الأمر غير الخلق وتسخيرها الذي يدل على خلقها إنما هو عن أمره ثم بيّن أن نطق الإنسان عمل من أعماله كما ذكر في قصة عبد القيس حيث سألوا عن عمل يدخلهم الجنة فأمرهم بالإيمان وفسّره بالشهاده وما ذكر معها وفي حديث أبي موسى في الباب "وإنما الله الذي حملكم" فيه الرد على القدرية الذين يزعمون أنهم يخلقون أعمالهم. قولـه: إنا كل شيء خلقناه بقدر: قال الكرماني التقدير خلقنا كل شيء بقدر فيستفاد منه أن يكون الله خالق كل شيء. قولـه: إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض – إلخ: المناسب من الآية قوله:{أَلاَ لَه الْخَلْقُ وَالأَمْرُ} فالخلق هو المخلوقات والأمر هو الكلام وبه قال محمد بن كعب القرظي والإمام أحمد بن حنبل.

فائدة: وجه دخول حديث [7557] و[7558] و[7559] في الترجمة من جهة أن من زعم أنه يخلق فعل نفسه لو صحت دعواه لما وقع الإنكار على هؤلاء المصورين فلما كان أمرهم بنفخ الروح فيما صوروه أمر تعجيز ونسبة الخلق إليهم إنما هي عل سبيل التهكم والاستهزاء دل على فساد قول من نسب خلق فعله إليه استقلالاً.

فائدة أخرى: تقدم مزيد بحث في كتاب الإيمان حديث [26].

57- **باب: قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم وتلاوتهم لا تُجاوز حناجرهم**

7560- تقدم في كتاب فضائل القرآن حديث [5020].

7561- تقدم في كتاب بدء الخلق حديث [3210]. 7562- تقدم في كتاب المناقب حديث [3610].

قولـه: قراءة الفاجر والمنافق – إلخ: مناسبتها لما قبلها من الأبواب أن التلاوة متفاوتة بتفاوت التالي فيدل على أنها من عمله.

58- باب: قول الله تعالى{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} وأنّ أعمال بني آدم وقولهم يُوزن

- روى معلقاً ووصله الفريابي: قال مجاهد: القسطاس العَدلُ بالروميّة. ويقال القسط مصدر المقسط وهو العادل. وأما القاسط فهو الجائر.

7563- تقدم في كتاب الدعوات حديث [6406].

قولـه: ونضع الموازين القسط ليوم القيامة: هل المراد أن لكل شخص ميزانا أو لكل عمل ميزان فيكون الجمع حقيقة أو ليس هناك إلا ميزان واحد والجمع باعتبار تعدّد الأعمال أو الأشخاص. ويدل على تعدد الأعمال قوله تعالى{وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ} ويحتمل أن يكون الجمع للتفخيم كما في قوله تعالى{كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ} مع أنه لم يرسل إليهم إلا واحداً. والذي يترجح أنه ميزان واحد ولا يشكل بكثرة من يوزن عمله لأن أحوال القيامة لا تكيف بأحوال الدنيا. قولـه: وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن: قال الزجاج أجمع أهل السُنّة على الإيمان بالميزان وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال وأنكرت المعتزله الميزان وقالوا هو عبارة عن العدل فخالفوا الكتاب والسُنة لأن الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال ليرى العباد أعمالهم مُمثّله ليكونوا على أنفسهم شاهدين.

فائدة: قال شيخنا شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني في كلامه على مناسبة أبواب صحيح البخاري لمّا كان أصل العصمة أولاً وآخراً هو توحيد الله فختم كتاب التوحيد وكان آخر الأمور التي يظهر بها المُفلح من الخاسر ثقل الموازين وخفتها فجعله آخر تراجم الكتاب فبدأ بحديث "الأعمال بالنيات" وذلك في الدنيا. وختم بأن الأعمال توزن يوم القيامة وأشار إلى أنه إنما يثقل منها ما كان بالنية الخالصة لله تعالى. أهـ. قلت والذي يظهر أنه قصد ختم كتابه بما دل على وزن الأعمال لأنه آخر آثار التكليف فإنه ليس بعد الوزن إلا الاستقرار في أحد الدارين إلى أن يريد الله إخراج من قضى بتعذيبه من الموحدين فيخرجون بالشفاعة. وقال الكرماني أشار أيضاً إلى أنه وضع كتابه قسطاساً وميزاناً يرجع إليه وأنه سهل على من يسره الله عليه وفيه إشعار بما كان عليه المؤلف في حالتيه أولاً وآخراً تقبل الله تعالى منه وجزاء أفضل الجزاء.